جامعة المنصورة

كليـة الآداب

أشكال التمرد في ديوان
(من وحي الوافر وقصائد أخرى)
للحساني حسن عبد اللّه

إعـداد

د/ جمال عبد الحميد زاهر

أستاذ الأدب العربي المساعد

كلية الآداب جامعة قناة السويس

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الثانى والستون – يناير ٢٠١٨

أشكال التمرد في ديوان (من وحي الوافر وقصائد أخرى)
للحساني حسن عبد الله

د/ جمال عبد الحميد زاهر

المستخلص

هذا البحث بعنوان [أشكال التمرد في ديوان (من وحي الوافر وقصائد أخرى) للحساني حسن عبد الله] ، ويخضع للمنهج الوصفي، وينقسم إلى مبحثين يسبقهما مقدمة ويتلوهما خاتمة:

المقدمة: تشمل : أهمية البحث – دوافع اختياره – تساؤلاته– الدراسات السابقة– خطة دراسته – المنهج المتبع .

المبحث الأول : الحساني ومنزلته الأدبية .

المبحث الثَّاني : أشكال التمرد في ديوان(من وحي الوافر وقصائد أخرى) .

الخاتمة: وبها أهم النَّتائج التي انتهى إليها البحث .

الكلمات المفتاحية: التمرد– الحساني حسن عبد الله– من وحي الوافر .

مقدمة

يدور هذا البحث حول الحساني حسن عبد الله أحد شعراء العربية المعاصرين، وقد آثرت دراسة الحساني مدفوعا بدعوة غير واحد من النقاد والباحثين إلى ضرورة إفراد الحساني بدراسة خاصة، يقول د/عبداللطيف عبد الحليم" هذا الشاعر لم يأخذ حقه فى الحياة الأدبية من الشهرة والذيوع حيث رقى المنابر من ليس بأهلها"[1] ، ويقول محمد أبو النصر:" شاعر كبير لا أدري كيف تتسلل أعماله من بين النقاد دون الوقوف عليها ومعايشتها، إنه حقا يحتاج إلى دراسة فمعدنه الشعري أصيل لم تشبه شائبة"[2] ، بالإضافة إلى أنه من شعراء العربية الكبار، ويحتل مكانة متميزة على خريطة الشعر العربي المعاصر، كما أنه مارس تحقيق التراث، واحترف النقد الأدبي.

أما لماذا موضوع التمرد؟ فذلك بسبب انتشار شعر الرفض والتمرد عند الحساني في ديوانه الثاني (من وحي الوافر وقصائد أخرى) بصورة لافتة.

ويتطلع البحث إلى أن يجيب عن التساؤلات الآتية

١–ما أهم مظاهروأشكال التمرد عند الحساني ؟

٢–ما أهم المعاني والمضامين التي أفرزها واحتواها شعر التمرد عند الحساني ؟

٣– ما أبرز السمات الفنية الخاصة التي يتميز بها شعر التمرد عند الحساني ؟

٤–كيف كانت لغة التمرد؟وماالصيغ والأساليب التي لجأ إليها للتعبيرعن تمرده ؟

---

(١) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان / الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله ... هل عاف سكون السجن / الموقع الألكتروني لجريدة (الأقباط متحدون) / السنة الخامسة / العدد ٢٠٩٨ / بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠م .

(٢) شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية – منشور بتاريخ ٢٢/ ١٢ / ٢٠٠٩ م .

ولم يفرد للحساني وشعره–حتى الآن–بحث خاص، وإنما تحدثت عن حياته بعض المقالات أذكر منها:

١–فاروق شوشة:عمود ديون يسبحون ضد التيار...الحساني حسن عبدالله–نشر بجريدة الأهرام في ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٤ م.

٢–عبد المنعم عبد العظيم:انتهاء عقوبة السجن المؤبد لشاعرمصري– مدونة محمد عبد اللطيف الصغي–نشر بتاريخ ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م.

٣– عبد المنعم عبد العظيم: الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله...هل عاف سكون السجن/الموقع الألكتروني لجريدة (الأقباط متحدون) / السنة الخامسة /العدد ٢٠٩٨ / بتاريخ٢٩ /٧ / ٢٠١٠م

٤– عبدالمنعم عبد العظيم:عودة الفارس القديم شاعر مصر الكبير الحسانى حسن عبد الله يواصل معركته ضد الحداثة– الموقع الألكتروني لجريدة(لأقباط متحدون)–نشر بتاريخ٢٧ /١٠ /٢٠١٣م ،وانظره في الحوار المتمدن– ع ٤٢٥٧– بتاريخ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٣ م .

٥– أشرف البولاقي: الحساني حسن عبد الله بين الحضور والغياب– جريدة أخبار الأدب– نشر بتاريخ ٢٤ / ٩ / ٢٠١٧م .

٦– أحمد عبد المعطي حجازي:الحساني حسن عبد الله في الثمانين – نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٨م.

٧–حسن الشافعي: مجلة مجمعيات – نشرة غير دورية تصدرعن مجمع اللغة العربية بالقاهرة–ع ٣٣ .

وقد فرضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين يسبقهما مقدمة ويتلوهما خاتمة:

المقدمة: تشمل: أهمية البحث– دوافع اختياره – تساؤلاته– الدراسات السابقة– خطة دراسته – المنهج المتبع .

المبحث الأول: الحساني ومنزلته الأدبية .

المبحث الثَّاني:أشكال التمرد في ديوان (من وحي الوافر وقصائد أخرى).

الخاتمة: وبها أهم النَّتائج التي انتهى إليها البحث .

ويخضع البحث لمعطيات المنهج الوصفي .

أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله في ميزان حسناتنا .

لإعلانات

المبحث الأول: الحساني ومنزلته الأدبية :

ولد محمد الحسانى حسن عبدالله فى قرية الكرنك بمحافظة الأقصر فى ١٥ مايو ١٩٣٨م،استقر الحساني بها حتى حصل على الشهادة الثانوية من مدرسة الأقصر الثانوية سنة ١٩٥٥م، وكان في السابعة عشرة من عمره فانتقل إلى القاهرة والتحق بكلية دار العلوم– كواحد من أوائل من التحقوا بها – وتخرج فيها عام ١٩٥٩م، وعمل بالتدريس مدة يسيرة ثم ما لبث أن هجره، في صيف ١٩٦٣م عُيّن سكرتير تحرير لمجلة (المجلة) المصرية، مرؤوسًا ليحيى حقي، وفي

العام نفسه عُيّن عضوًا بلجنة القراءة بهيئة السينما، مرؤوسًا لنجيب محفوظ .

حَصل على دبلوم معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٤م، ثم حصل على الماجستير من نفس المعهد عام ١٩٧١م عن رسالته (فلسفة الجمال عند العقاد وعلاقتها بآرائه في النقد) التي أشرف عليها د/شكري عياد، وناقشها د/ خلف الله أحمد، ود/ يحيى هويدي، ثم سجل للدكتوراه فى كلية دار العلوم لكنه توقف ولم يكمل .

تزوج الحساني وأنجب(ريبال) و(رزام)[٣]، وهو عم القاص المبدع يحيى الطاهر عبدالله صاحب الطوق والأسورة، أما أبوه- الذي فقده في سن الثالثة عشرة - فكان (شيخ عرب)، معروفا بالجود والكرم، بيته- دوما- مفتوح، يغشاه القاصي والداني، ويبدو أن علاقته بأبيه لم تكن على ما يرام إذ أن للحساني قصيدة في رثاء أبيه هي أقرب إلى العتاب القاسي إن لم نعدها هجاء مقذعا يقول فيها[٤]:

أبي عفوا أنا لم أبك عفوا
لأنك كنت جبارا عتيا
سهوت سها جبينك في أساه
فما انتبهت سنوه إلى سنيا
مضيت ولم تطف يوما بسمعي
على طول احتياجي: يا بنيا
زمان سل من عينيك عطفا
ومن شفتيك كنت به حريا
زمان نال منك ونال مني
فلم تكن الودود ولا الحفيا
فإن يك في طوايا الغيب لقيا
فكن غير الذي قد كنت حيا

جاءت قصيدة الحساني رثائية من نمط جديد في موضوعها لاحتوائها على هجاء للأب لم يعرف عند أحد قبله، ينطلق الشاعر في قصيدته من الرثاء إلى الهجاء فحالة العتاب والتأنيب والغضب، ولم يجد الشاعر وقتا مناسبا لعتاب والده إلا بعد موته حتى يستطيع أن يقول كل ما يجول بخاطره بحرية[٥].

تعرض الحساني لمحنة السجن عام ١٩٩٣م حيث حكم عليه فى قضية مخدرات وقضى فى غيابات السجن عشرين عاما (من ١٠ فبراير١٩٩٣م إلى ٢٧ أبريل ٢٠١٣م)، وكان السجن مفاجأة لمن يعرف الشاعر عن قرب وللوسط الأدبى، حيث كان من المتوقع أن تصدر إبداعاته الكثيرة ومجموعة مقالاته ودراساته المتعددة فى الأدب والتراث، ولكن محنة السجن كانت صدمة عنيفة للشاعر ومحبيه[٦] .

ومن عجائب الاتفاق أن للحساني قصيدة بعنوان (رسالة إلى صاحب عاشق) قالها عام ١٩٩٢م مطلعها[٧]:

(٣) ريبال: اسم من أسماء الأسد، رزام : صفة من صفات الأسد تقال للأسد عند وثوبه على الفريسة .

(٤) الحساني حسن عبد الله :عفت سكون النار/ قصيدة (أبي)/ ٤٧ – ٤٩ .

(٥) عبد الرضا عطاشي: رثاء الأب في الشعر المعاصر- مجلة الكلية الإسلامية – النجف الأشرف- إيران- مج ١- ع ٤٠- ص٦٠١ .

(٦) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان / الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله ... هل عاف سكون السجن / الموقع الألكتروني لجريدة(الأقباط متحدون) / السنة الخامسة / العدد ٢٠٩٨ / بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠م .

(٧) من وحيالوافر(قصيدة رسالة إلى صاحب عاشق) ٦ .

بانتْ سُعَادُ فلا يُتْلِفَنْ فُؤادَكَ بَيْنُ
نريدُهُ لِلَيَالٍ أَقْسَى أراها تدنو

ثم سجن في العام التالي .

ويؤكد الحساني أن القضية التي سجن بسببها عشرين عاما كانت ملفقة، وكذا كان يراها أصدقاؤه، ومنهم الشاعر المصري عبد المنعم عواد يوسف الذي يرى أن القضية لفقت له، فقد بثوا له المخدرات وأرسلوها لزوجته، وما إن وصل حساني المنزل حتى قدم رجال الشرطة ليجدوا اللفافة في منزله، ليقبض عليه ويودع في السجن ويحكم عليه بالسجن المؤبد، وحول السبب في ذلك يقول عواد يوسف إن حساني كانت طموحاته كبيرة جدا، وكانت له مشاريعه التجارية الكثيرة، ويبدو أنه كانت هناك مشكلة مع أحد العاملين في المجال دفعتهم للانتقام منه فلفقوا له هذه القضية، لكن يبدو أن الأمر كان كبيرا جدا وكانوا يودون الانتقام منه بشدة، فقد لفقوا له ربع كيلو هروين أي ما يعادل ربع مليون جنيه وهو مبلغ كبير جدا، ويضيف أن القضية هذه كانت غريبة جدا، وليس هناك من يعرف الحقيقة أو يقف عليها[٨].

أمضى الحساني مدة عقوبته في سجن القطا– شديد الحراسة– التابع لمحافظة الجيزة، وفي السجن كان يديم الجلوس بداخل المكتبة، وفي السجن قرأ كثيرا وكتب قليلا حيث كتب عدة قصائد نشرتها جريدة الأهرام.

وعلى الرغم من أنه كان أحد مؤيدي الشعر العمودي إلا أن صداقه كبيرة كانت تجمعه بشعراء جيله من أرباب الشعر الحر أمثال صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، أمل دنقل، فاروق شوشة، عبد المنعم عواد يوسف وغيرهم، كذا جمعته صداقة قوية بمحمود محمد شاكر منذ أن تعرَّف إليه في صيف ١٩٦٣ وصَحِبه زمنًا .

خاض الحساني العديد من المعارك الأدبية منها معركته مع عز الدين اسماعيل في مجلة المجلة وكان يرأس تحريرها في ذلك الوقت د/عبد القادر القط، وقد كان قادرا على الردود وله كاريزما وحضور متفرد، إضافة إلى معركته الأشهر ضد أصحاب الشعر الحر .

أما على المستوى السياسي فلم يكن الحساني راضيا عن عبد الناصر وسياساته حيث كان يرى عبد الناصر طاغية أذل شعبه وأهان أمته، ويرى حكمه بوليسيا، وقد لاحظ ذلك معاصروه، يقول د.أحمد شمس الدين الحجاجي" كان للحساني موقف سياسي كبير ضد الناصرية"[٩].

وقد أخفى الحساني حنقه على عبد الناصر وضيقه بحكمه وسياساته إبان حياته، وجهر به بعد مماته، واستغل عضويته في الوفد المصريّ المشارك في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد بالجزائر سنة ١٩٧٤م وألقى قصيدة من مائة وعشرين بيتا في هجاء عبد الناصر، منها قوله:

نحن ممن قال عملاق فقالوا هو قزم
غره أن غر غوغاء بلادنا وهوفدم
إن عود القش فى شعور النمل ضخم

(٨)عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان : انتهاء عقوبة السجن المؤبد لشاعر مصري– مدونة محمد عبد اللطيف الصغير– منشور بتاريخ : ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م.

(٩) السابق نفسه .

فتمادى وتمادى غبر وادى النيل وهم
لج حتى راح ما بين المحبط بنجم
والملايين سعاة في فضاء

يستتمهل شعرى أراد الله أم جهل وظلموهذا الهجاء أقام عليه الدنيا ولم يقعدها فى الجزائر، وبعد انتهاء المؤتمر وعودة الحساني إلى مصر طرده يوسف السباعى- وزير الثقافة آنذاك- من مجلة الثقافة- وكان عضوا بهيئة تحريرها- على الرغم من صداقتهما القوية.

وأغلب الظن أن للعقاد أثرا كبيرا في موقف الحساني من عبد الناصر وهجائه له خاصة أن العقاد كان هو الآخر ناقما على الحقبة الناصرية، وذكر الحساني- غير مرة - أنه سمع العقاد يسب عبد الناصر سبا قبيحا، وأن لفظ السباب بلغ الغاية في القبح من دون أن يذكر اللفظ صراحة[١٠].

أما ثقافيا... فقد تضافرت عدة عوامل كان لها دور في تشكيل ثقافة الحساني أهمها صالون العقاد الأدبي، إضافة إلى دراسته بكلية دار العلوم وتلمذته على يد أعلامها، ثم اطلاعه على ذخائر التراث العربى وأهمها كتاب المنتخب من أدب العرب إلى جانب دواوين الشعر العربي القديم، وأخيرا مطالعة عيون الأدب الانجليزي ساعده على ذلك معرفته الجيدة باللغة الانجليزية.

تعرف الحساني على العقاد في خريف ١٩٥٨م - وكان حينذاك طالبا بكلية دار العلوم- ولما يكمل العشرين من عمره واتخذه قدوة ومثلا أعلى وحرص على حضور ندوته- وكانت تعقد كل يوم جمعة- منذ تعرف عليه حتى وفاة العقاد فى ١٢ مارس ١٩٦٤م ومن فرط إعجابه بالعقاد اختار موضوعه للماجستير عن العقاد، كما قام بمراجعة وتقديم بعض كتب العقاد التى صدرت بعد رحيله.

وصف الحساني العقاد بالشيخ الرئيس، وقال:"أحببت الأستاذ، وقع حبه في قلبي منذ الجلسة الأولى،... كان يوم الجمعة عيدا عندي وعند كل قُصاد الأستاذ"[١١]، وكتب الحساني فى العقاد ثلاث قصائد إحداها بعنوان (العيد الأخير) ألقاها في حضرة العقاد فى آخر عيد ميلاد له، يقول فيها[١٢]:

لهب الشموع أراك منطفئا
في حضرة إيماضها حي
وتراك بعد وبعد مؤتلقا
يذكو على ومضاتك الهدي
أنا لا أصدق أن يجئ غد
يخبو به قبس سماوي

والثانية - بعد وفاته-وعنوانها (الجمعة الآفلة) حيث كانت جلسة العقاد مع مريديه تعقد كل جمعة وقد غابت هذه الجلسات بأفول نجمه، يقول فيها[١٣]:

موعدنا غدا ... أقول للرفاق
موعدنا غدا ... وكلنا اشتياق

(١٠) الحساني: بعض الخفي من سيرة العقاد- الصفحة الرسمية للحساني على الفيسبوك- نشر بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ٢٠١٧م .

(١١) الحساني حسن عبد الله: ساعات في حضرة الفكر- مجلة الهلال مارس ٢٠١٤م .

(١٢) عفت سكون النار/ ٩٠ - ٩١ .

(١٣) عفت سكون النار/ ٩٥ .

إلى انهلال ليس يثنيه اعتياق

أجل غدا... لكنه ليس هناك

الجبل الحى هوى بلا حراك

والقصيدة الثالثة– في ذكراه– بعنوان (الجنين)، ختمها بقوله[١٤]:

لن يطول الزمان لأنك تحيا لأن حسامك لن يغمدا

والحياة التي عشتها سيدا تنكر المعجبين بها أعبدا

لن يطول الزمان غريم المجاهل إنا طلبنا سبيل الهدى

يا جنينا بأسوان مصرك أمك ترجوك أن تولدا

وعن علاقته بالعقاد يقول د/ أحمد شمس الدين الجاجي:"كانت علاقة حب، فقد أحب العقاد حب الابن لأبيه، خاصة وأنه فقد أباه وهو في سن ١٣ سنة، لذا عندما قابل العقاد شعر بأنه أباه وتعامل على هذا الأساس، حتى أنه عندما كتب شوقي ضيف كتابا عن العقاد، غضب الحساني كثيرا من ضيف وكتابه، لأنه رأى أن الكتاب لم يعط للعقاد حقه، فتأثير العقاد فيه كان إنسانيا في المقام الأول، وكان في بداية حياته يرى نفسه وريثا للعقاد"[١٥].

أما عن أعماله فقد بدأ الحساني يقرض الشعر عام ١٩٥٩م قبل أن يتخرج في دار العلوم، ونشرت له مجلة الآداب اللبنانية قصيدته الأولى في ديسمبر من العام نفسه، وكان الحساني– بادئ الأمر– يعرض أشعاره على أساتذته ويسمعها أصدقاءه، وظل كذلك حتى أصدر ديوانه الأول(عفت سكون النار)عام ١٩٧٢م، وحصل من خلاله على جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر عام ١٩٧٤م، ثم صدر له ديوان آخر بعنوان (من وحى الوافر وقصائد أخرى) ضمن سلسلة إبداعات عربية التي تصدر عن دائرة الثقافة بالشارقة، وله ديوان ثالث بعنوان (ويقال ساسة) كل القصائد فيه تتعلق بشخصيات سياسية مثل عبد الناصر والملك حسين وياسر عرفات.

وفي مجال التحقيق قام بتحقيق :

١– كتاب الكافى فى العروض والقوافى لأبي زكريا يجيى التبريزى، نشرته مكتبة الخانجي عام ١٩٦٩م .

٢– كتاب العيون الغامزة على خبايا الرامزة لأبي بكر الدماميني، نشرته مطبعة المدني عام ١٩٧٣م .

٣– كتاب شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية، نشرته دار التراث عام ١٩٧٥م .

وقام بمراجعة وتقديم بعض كتب العقاد التى صدرت بعد رحيله، كذا كتب وترجم عشرات المقالات التي نشرت فى كثير من الدوريات المصرية والعربية كان أولها مقالة بعنوان(نازك وعروض الشعر الحر)، نَشرتْ بمجلة الآداب اللبنانية في يونيو ١٩٥٩م .

ثم توالت مقالاته المؤلفة والمترجمة على صفحات جريدتي الأخبار والمساء، ومجلات

(١٤) عفت سكون النار/ ١٠٤ – ١٠٥ .

(١٥) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان : انتهاء عقوبة السجن المؤبد لشاعر مصري– مدونة محمد عبد اللطيف الصغير– منشور بتاريخ : ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م.

الرسالة والمجلة والثقافة[١٦]، كما أذيع له جملةُ أحاديثَ من القاهرة والرياض والكويت، وبعض قصائده تم تلحينها والتغني بها من ذلك قصيدة (إصرار) التي لحنها وشدا بها كارم محمود .

أما عن مكانته الأدبية فيقول د/ حسن الشافعي رئيس مجمع الخالدين:" فهو يردد ألحانه ويرسل إبداعاته إلى الأذواق العربية منذ نصف قرن ... إنه الشاعر الفحل الذي بلغ أوجه واكتملت كل أدواته الفنية واسبطرت شاعريته فارهة باهرة ... إنه الحساني حسن عبد الله"[١٧].

ووصفه أحمد عبد المعطي حجازي بأنه شاعر حقيقي وهي صفة أفضلها على غيرها في هذه الأيام التي انتشرت فيها الصفات المجانية ، .... ، باختصار الحساني حسن عبد الله شاعر حقيقي مثقف يستحق أن نقرأه ونعرفه ونحبه[١٨].

أما د/عبد اللطيف عبد الحليم فيراه رجلا مفرد التجربة الشعرية شديد الخصوصية بعيدا عن المجانى والمبذول مما هو شائع بكثرة هذه الأيام[١٩].

ويراه د/عبد المنعم تليمة شاعرا متمكنا من لغته وتعبيراته الرصينة، وله ديوان كلاسيكي بعنوان(عِفت سكون النار)، هذا الديوان لفت النظر إليه بشكل كبير وبه حصل على جائزة الدولة التشجيعية، وإضافة إلى كونه شاعرا فلديه عدد من الكتابات النقدية[٢٠].

ويطنب الشاعر الكبير فاروق شوشة في إطراء شاعرنا متسائلا: من أي ينبوع بعيد يتدفق هذا الشعر، شعر الحساني حسن عبدالله؟ ومن أية سماء للإلهام يتنزل هذا الفيض البديع من اللغة الشعرية التي لاتشبه إلا نفسها؟ مستوعبة كيانا إنسانيا متفردا غاية التفرد، صعبا غاية الصعوبة، ومحملة بزاد وفير من الموروث الحي للشعر العربي، في حركته الجدلية، وعنفوانه المتأبي علي الضحالة والهشاشة التي هي سمة الزمان المتردي، والعجمة المتفشية، ... ، وهو صاحب القلم المرجى شاعرا وكاتبا، نفتقده كلما سادت الركاكة والهشاشة وفسد الذوق، واختلطت المعايير، ومبدعا هو – بلغة ابن سلام– في الطبقة الأولي من شعراء دار العلوم الذين أنبتتهم خلال العقود الثلاثة الأخيرة، إن لم يكن أوفرهم عدة من اللغة، وتملك ناصيتها، وأكثرهم تحقيقا لفكرته عن الشعر في شعره[٢١].

كذا تصدى فاروق شوشة لأبيات الحساني:

يارفيقي إن الصغار استبدوا

فأعني علي البلاء المحيق

(١٦) من المقالات التي ترجمها مقالة بعنوان: أسس العروض الإنجليزي – للكاتب (ايندهمو)– نشرت بمجلة (المجلة) ع ١١٣ – س ١٩٦٦ – ص ٩٠ .

(١٧) مجلة مجمعيات – نشرة غير دورية تصدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة– ع ٣٣ .

(١٨) أحمد عبد المعطي حجازي : الحساني حسن عبد الله في الثمانين – مقال منشور بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٨ .

(١٩) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان / الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله ... هل عاف سكون السجن / الموقع الألكتروني لجريدة (الأقباط متحدون) / السنة الخامسة / العدد ٢٠٩٨ / بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠م

(٢٠) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان : انتهاء عقوبة السجن المؤبد لشاعر مصري– مدونة محمد عبد اللطيف الصغير– منشور بتاريخ : ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م.

(٢١) فاروق شوشة: عموديون يسبحون ضد التيار...الحساني حسن عبدالله– مقال نشر بجريدة الأهرام في ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٤ .

لبني إن في ضميري رياحا
طلبت صهوة الفضاء الطليق
فك عنها الوثاق أمض همومي
لا تدعني كالفارس الموثوق
أنظر الساحة العظيمة تخلو
من بنيها العظام، لا يارفيقي
بدأت رحلتي إلي مطلع النور
فصبرا علي صعاب الطريق
السنا المستفيق يعلو رويدا
ليتنا نشهد استواء الشروق!

ورأى أنها نفس شعري هادر، وعنفوان لغوي آسر، وكبرياء متأبية تعاف ما هو رخيص ومبذول، تذكرنا مرة بكبرياء العقاد في عناده الصخري وجبروته الفكري، وأخري بشموخ محمود شاكر وترفعه وتوحده في الذرا التي يسكن إليها عندما لايكون للندية مكان أو صاحب، عند هذه القمم الباردة يكون التوحد والوحدة، بديلا عن الانغماس فيما تعافه النفس، والتدني إلي ما يخوض فيه العابرون والطامعون والمهطعون[٢٢].

كذلك احتفى فاروق شوشة بشاعرنا فور خروجه من السجن ونظم له أمسية شعرية في (بيت الشعر العربي) في ١٧ / ١١ / ٢٠١٣م، وفيها أطل الحساني على جمهوره ومريديه بعد طول غياب، وألقى عددا من قصائده الشعرية .

ويؤكد الشاعر المصري عبد المنعم عواد يوسف – أحد الشعراء المعاصرين للحساني– أن شاعرنا كان من أهم الشعراء المصريين في جيله ويكفيه أنه حصل على جائزة الدولة التشجيعية في أوائل أيامها ، ...، ويضيف: إننا أمام شاعر كبير ومهم وله أعماله الشعرية المؤثرة [٢٣].

ويرى الناقد والشاعر د/جابر قميحة أن حساني حسن عبد الله كان موهبة شعرية فذة، التقاه في رابطة أبناء دار العلوم، وهو شاعر ذو مكانة شعرية فذة، وتجربته كانت من أهم التجارب[٢٤].

و يرى صديقه ورفيق دربه د/ أحمد شمس الدين الحجاجي أن الحساني ليس مجرد شاعر بل إنه من أعظم شعراء الفترة التي عايشها، فهو من أهم شعراء جيل الستينيات، أما إقلاله من إصدار الدواوين فيأتي ذلك لأن الشاعر لايكتب إلا بعواطفه، وهو إضافة لكونه شاعرا فقد كان مدققا وناقدا، له العديد من المقالات النقدية التي نشرها في مجلة الثقافة، ولعب دورا مهما في الحياة الثقافية، حصل على جائزة الدولة التشجيعية، واستطاع أن يطور في الشعر العمودي بشكل حداثي[٢٥].

أما عبدالمنعم عبد العظيم– مدير مركز دراسات تراث الصعيد– فوصفه بالشاعر الكبير الذى ملأ الساحة الأدبية فى الستينيات، وكان أحد فرسان ندوة العقاد الأدبية وأحد قامات الشعر الرصين[٢٦]، ورأى فيه قوة الأحاسيس وعمق

(٢٢) السابق نفسه .

(٢٣) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان : انتهاء عقوبة السجن المؤبد لشاعر مصري– مدونة محمد عبد اللطيف الصغير– منشور بتاريخ : ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م.

(٢٤) السابق نفسه .

(٢٥) السابق نفسه .

(٢٦) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان / الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله ... هل عاف سكون السجن / الموقع

المشاعر وتدفق الثقافة والقدرة على العطاء والإصرار على التحدى[٢٧].

ويشيد د/ بدوي طبانة بالمقدمة النقدية الباهرة التي كتبها الحساني في صدر ديوانه الأول

(عفت سكون النار) قائلا:"وقد رأيناه في هذا البيان الذي كتبه عن الشعر الحر يسلك منهجا قويما يشهد له بالقدرة الفائقة على التحليق في مجال النقد الأدبي وبالذوق السليم الذي أعانه على التقدير والتقويم والثقافة الأدبية الواسعة التي سمت به إلى أن يكون واحدا من علماء الأدب في هذا الزمان"[٢٨].

المبحث الثاني:أشكال التمرد في ديوان (من وحي الوافر وقصائد أخرى) :

يعبر التمرد عن الرفض والتحدي والمقاومة والمواجهة وعدم الرضا، والخروج عن الشائع والمألوف، والثورة على الواقع والعادات والقيم السائدة، والرغبة في التغيير ومقاومة تسلط الآخرين، ويصدر التمرد عن شخص صاحب رؤية قوي الإرادة صعب المقاد.

وتساءل ألبير كامو عن ماهية الإنسان المتمرد، وأجاب: هو من يصرخ بـ (لا)، وأردف: على الثائر –إذا ما رفض– ألا يتراجع، ورأى أن التمرد لا يوجد– فقط– عند من يتعرض للاضطهاد، إنما يوجد– كذلك – عند من يكون شاهدا عليه[٢٩].

ويختلف الشخص المتمرد عن الشخص المغترب، الأول إيجابي والآخر سلبي، الأول لا يهرب من واقعه وقضاياه بل يواجهها، والآخر ينفصل عن واقعه، الأول يسعى إلى حياة أجمل وأكمل يقترح البديل ويخطط للمستقبل، والآخر ينسحب مؤثرا السلامة .

والحساني من هؤلاء الذين يحملون نفوسا ثائرة متمردة، واحد من ذوى المطامح البعيدة، يمارس الحياة بأعصاب عارية توفزها صدمات القلق والحيرة فتضيق عنها تجاليد اللحم والدم، ومثل هذه النفوس تعيش خيالا أو وهما يفلت أحيانا من ضرورات الواقع المعيش فتصرعه عذاباتها حين لا تنهض الأجنحة بالجسد الأرضى أو تحلق فتذيب أشعة شمس، ... ، جماع هذه الشخصية– كما قال الدكتور عبداللطيف عبد الحليم– التمرد على الإرث الراكد، وطموح جامح لايثنيه اعتياق ونفي، ...، تستشعر العظمة رغم عواصف الحياة حولها، ورقة يغلفها سور حصين من الاعتداد بالنفس والكبرياء الباذخة، وكأنها الماء يسرى فى إغراق الأرض تكتنفه الصخور والجبال، وكان صاحبها يخشى إن بدت أن يتهم بالضعف، وما هو بالضعف، وحزن ممض، وأسى ملح يجتنحه الترفع عن الظهور، ويواصل الدكتور عبداللطيف قائلا: فى صاحبنا ملامح من أحزان هاملت الأبدية وطموحات المتنبى وأوهام دون

الألكتروني لجريدة(الأقباط متحدون) / السنة الخامسة / العدد ٢٠٩٨ / بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠م .

(٢٧) عبدالمنعم عبد العظيم: عودة الفارس القديم ... شاعر مصر الكبيرالحسانى حسن عبدالله يواصل معركته ضد الحداثة– الموقع الألكتروني لجريدة الأقباط متحدون– نشر بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٣ .

(٢٨) بدوي طبانة: كوكبة من شعراء العصر/ ٢٨٠ .

(٢٩) ألبيركامو: الإنسان المتمرد– تر: نهاد رضا– مطبعة الكرم لبنان– الأولى ١٩٦٣– ص ٢٧ وما بعدها.

كيشوت، كل ذلك فى مسحة واحدة وستظل الأحزان تغلف القلوب التى عرفت هذا الشاعر وقدرته إنسانا قبل أن يكون شاعرا[٣٠].

ويكفي أن نطالع عناوين قصائد الديوان – محل الدراسة– لنكتشف مدى ضيق الحساني وتبرمه ورفضه وتمرده ورغبته في ثورة جامحة تنفجر كالبركان، ولقد تجسد إيمانه هذا في مجموعة من القصائد ذات الصبغة الرافضة، منها قصائد(حصار) ، (ارتعاشة) ،(فتوى لكنها مرفوضة)، (إلى بيل كلينتون ... لا سلام عليك) ،(قسم للقدس من جيل قادم) ،(يا فاطمة اعملي) ، (إن لدينا عملا) ، (لك عين فأبصري)،(ناران) ... إلخ .

وجه الحساني سهام النقد إلى واقعه، ذلك الواقع الذي يعج بالسلبيات فرفضه وتمرد عليه معلنا المقاومة رافعا راية التصدي راغبا في تجريده من كل ما يشينه من قيم سائدة مهيمنة، لذا ظهرت في ديوانه مظاهر وأشكال الرفض والتمرد الآتية:

التمرد الأدبي:

في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي ظهر جيل من الشعراء تمرد على القصيدة العربية التقليدية ورغب عن بحور الخليل إلى تفعيلاته، فظهر ما يعرف بالشعر الحر على يد الرواد الأوائل: نازك الملائكة وجميل صدقي الزهاوي وعبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السياب وغيرهم .

وأثناء دراسة الحساني في كلية دار العلوم– منتصف الخمسينيات– لاحظ حركة قوية تتعصب للشعر الحر وتنتصر له، دفعه هذا إلى الإقبال على قراءته واقتناء دواوينه، واستفتح بديوان (شظايا ورماد) لنازك الملائكة، ورأى في مقدمة ديوانها دعوة إلى هجر الشعر العمودي واعتماد الحر، فانبرى يقرض الشعر الحر، وكتب عدة قصائد نشرتها له مجلة الآداب اللبنانية، ويتحدث الحساني عن هذه الفترة من حياته قائلا:" لما بدأت صحبتي للعقاد كنت أحد المؤيدين للمذهب الجديد في نظم الشعر في دار العلوم"[٣١].

ثم ما لبث أن اكتشف – بفضل تمكنه من علم العروض– أن الشعر الحر به عيوب، وأن أتباعه يجيزون لأنفسهم ما لا يجوز، كذا اكتشف أن الشعر الحر موزون وليس نثرا كما كان يشاع في الأوساط الثقافية العربية والغربية آنذاك، فرفضه وانقلب عليه ورفع راية التمرد وصار ألد معارضيه.

يقول الحساني:"ما لا يعلمه كثيرون أني بدأت شاعرا من شعراء التفعيلة ثم تحولت بالكلية، وكان سبب ذلك أن هناك من أساتذتي وزملائي وأنا في الكلية من قالوا عنه إنه ليس بشعر وإنه

(٣٠) راجع: عبد المنعم عبد العظيم: مقال بعنوان: الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله ... هل عاف سكون السجن– الموقع الألكتروني لجريدة(الأقباط متحدون)– السنة الخامسة– العدد ٢٠٩٨– بتاريخ ٢٥/٧ /٢٠١٠م

(٣١) الحساني: ساعات في حضرة الفكر– مجلة الهلال مارس ٢٠١٤ .

نثر، بينما تأملي الشخصي قادني إلى أنه نسق من الكلام غير النثر فكتبته كرد فعل"[٣٢] .

ومنذ ذلك الحين- خمسينيات القرن الماضي- حتى يومنا هذا صار شغله الشاغل أن يدافع عن الشعر العمودي، وأن يقف في وجه أنصار الشعر الحر، سالكا عدة سبل: تارة يحاورهم ويبرز عيوب طريقتهم، وتارة يفند مزاعمهم ويرد عليها، وتارة يهاجمهم، لذلك عرف في الأوساط الأدبية بالشاعر العمودي، يقول د/عبد المنعم تليمة:"كان شاعرا مهما عرف بالتزامه بالشعر العمودي التقليدي في الوقت الذي اتجه فيه الشعراء من أبناء جيله إلى التفعيلة، ودخل في العديد من الصراعات، وذلك لحرصه على العمودي ودفاعه عنه"[٣٣].

ويراه جابر عصفور الشاعر العمودي الذي ظل أحد دراويش عباس العقاد وواحدا من أشد أعداء الشعر الحر[٣٤]، أما فارق شوشة فقد رأى الحساني كمن يشعل النار في الهشيم، بعد أن عاف سكونها، كان صارخا في البرية يري بعيني زرقاء اليمامة ما سوف يئول إليه الشعر، ويقبض بيديه علي الجمر، وهو يري أن مايقذف به إلي الناس كلام مضطرب ساقط مكرور، غير مطلوب، وهو برغم هذا يفرض فرضا علي الناس[٣٥].

ومن المؤكد أن عبد المنعم عبد العظيم قد جانبه الصواب – في أحد مقالاته- حين وصف شاعرنا بأنه من غلاة الدعاة إلى الشعر الحر، خاصة إذا نظرنا إلى تاريخ نشر هذا المقال[٣٦].

أعلن الحساني رفضه للشعر الحر والتمرد عليه وانحيازه للشعر العمودي مبكرا حين أهدى ديوانه الأول(عفت سكون النار) إلى"الحياة التى كادت أن تكون فكرا محضا، إلى العقل الذى صنع الأعاجيب زمانا فى خص من أخصاص البصرة، إلى منجب الأساتذة الخالد الخليل بن أحمد"[٣٧]، وصدره بقوله:" من الكلام الموزون المقفى"[٣٨].

وقال في مقدمته:"اختلط الحابل بالنابل فلابد من وقفة لنفي الالتباس، ولنبدأ من الأمر الواقع، انتصر الشعر الحر فإن منه تسعة أعشار ما ينشر منذ ربع قرن تقريبا، ولو اطرد النصر لأمسى الكلام الموزون المقفى أثرا من آثار الماضي، فهل نكسب أو نخسر؟ إن الذي لا شك فيه عندي أننا خاسرون، وأن مزيدا من إفلات الزمان مفض إلى تهلكة محققة، وها هو ذا أول الشر شيوع الركاكة والتخليط والتشابه والتوسط، والفن كله على النقيض إحكام وقصد وتميز وعلو،

(٣٢) الصفحة الرسمية للحساني على فيسبوك – جزء من إجاباته أثناء حوار معه كضيف شرف في صالون أمير الشعراء- منشور بتاريخ ٢١ / ٤ / ٢٠١٦ م .

(٣٣) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان : انتهاء عقوبة السجن المؤبد لشاعر مصري- مدونة محمد عبد اللطيف الصغير- منشور بتاريخ : ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م.

(٣٤) جابر عصفور:هوامش للكتابة ... ذكريات يحيى الطاهر عبد الله- مقال بالموقع الألكتروني لجريدة الحياة – بتاريخ ٢ / ١١ / ٢٠٠٥م .

(٣٥) فاروق شوشة: عموديون يسبحون ضد التيار...الحساني حسن عبدالله- مقال نشر بجريدة الأهرام في ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٤ .

(٣٦) عبد المنعم عبد العظيم : مقال بعنوان / الشاعر الكبير الحساني حسن عبد الله ... هل عاف سكون السجن / الموقع الألكتروني لجريدة (الأقباط متحدون) / السنة الخامسة / العدد ٢٠٩٨ / بتاريخ ٢٥ / ٧ / ٢٠١٠م

(٣٧) عفت سكون النار/ ٣ (صفحة الإهداء) .

(٣٨) السابق / الغلاف .

أما آخره فموت العربية – عاشت لنا– أي موت العرب، وإيمانا بوجوب أن يحيا الشكل القديم، وبأن الشعر الحر صائر بالشعر واللغة إلى فساد هائل جاء هذا الديوان ضربا من الكلام الموزون المقفى"[٣٩] .

وفي مجال المقارنة بين الشعر العمودي والشعر الحر يرى الحساني أن الشعر القديم لم تنقطع إجاداته قديما وحديثا وهو يغرب أمام أعيننا دون أن تنفعه الإجادة، وأن الشكل الجديد لم تنقطع إساءاته منذ ولد وهو يواصل الحياة كما يواصلها المعافى من الأدواء[٤٠].

ومضى الحساني يعدد عيوب وإساءات الشعر الحر من ركاكة وتخليط وتشابه وكلام قل أن يفهم[٤١]، إلى ركام من ألفاظ يرتطم بعضها ببعض بلا ضابط[٤٢]، وكسور عروضية ظاهرة شائعة في الشعر الحر كله[٤٣]، وملل ورتابة[٤٤]، وخلط بين تفاعيل لا يؤدي الجمع بينها إلا إلى النثر[٤٥]، بالإضافة إلى خروج أتباعه على أبرز خاصة في موسيقى القصيدة العربية منذ الجاهلية حتى اليوم، وهي جريانها على نسق ثابت يقوم على البيت أو المقطوعة ...، فبعد أن كانت الأذن في الشعر الموزون المقفى تتوقع الشطر أو البيت أو المقطوعة انصرف التوقع في الشعر الحر إلى التفعيلة المفردة[٤٦].

ويصف الحساني حركة الشعر الحر بالموجة الجارفة التي انحرفت بالشعر الحديث انحرافة مؤذية للشعر، مؤذية للعقل العربي، مؤذية للوجود السياسي العربي كله[٤٧]، ويرى أن واقع الشعر الحر يدلناعلى أنه صائر إلى النثر عاجلا لا آجلا[٤٨]، ويؤكد أن الشعر الحر لم يوجد ليبقى[٤٩]، لأنه صائر بالشعر واللغة إلى فساد هائل[٥٠].

وما دام الشعر الحر يحفل بكل هذه العيوب فما سبب ظهوره وسيطرته على الساحة الأدبية؟ ما الذي هيأ لهذا العيب المدمر أن يوجد وأن يتمكن؟ يجيب الحساني: أما كونه يباع ويشترى فلأن الجو خلا، رقي المنابر غير أهلها لانحطاط التعليم من جهة، ولأن للفكر الدخيل من جهة أخرى مآرب، فاختل النظر واستشرى الاختلال لأنه صادف نوعا من الخور والاستكانة خيم على الحياة العامة حتى كادت اللامبالاة أن تصبح خلقا شاذا[٥١]، يقول[٥٢]:

مُفاعَلَتُنْ مُفاعلتنْ فعولُ

(٣٩) االسابق/٥–٦ .
(٤٠) السابق / ٨ .
(٤١) السابق/ ٧ .
(٤٢) السابق/ ٦ .
(٤٣) الحساني حسن عبد الله: ساعات في حضرة الفكر – مجلة الهلال مارس ٢٠١٤م .
(٤٤) عفت سكون النار/ ١١ ، وتؤمن نازك الملائكة على قول الحساني حين تذكر أن أغلب الشعر الحر رتيب ممل الوقع ، المرجع نفسه / ١٢
(٤٥) السابق/٢٦ .
(٤٦) عفت سكون النار/ ٨–٩ .
(٤٧) الحساني: أحمد حجازي وعمود الشعر– مدونة الحساني– منشور بتاريخ ٦ / ٧ / ٢٠١٧ م .
(٤٨) عفت سكون النار/ ٢٦ – ٢٨، كان العقاد يرى أن الشعر الحر نثر لا شعر، ويذكر التاريخ أن العقاد– رئيس لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للآداب– رفض الموافقة على سفر أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور إلى دمشق في أحد مهرجانات الشعر، ولما رفع الأمر إلى يوسف السباعي وافق على سفرهما شريطة أن يكون إسهامهما في المهرجان –إرضاء للعقاد– من الشعر المقفى لا من الحر وقد كان، راجع الحساني حسن عبد الله: ساعات في حضرة الفكر– مجلة الهلال مارس ٢٠١٤م.
(٤٩) عفت سكون النار/ ٣٥ .
(٥٠) السابق /٥–٦ .
(٥١) السابق / ٦ .
(٥٢) من وحي الوافر(قصيدة من وحي الوافر) /٢٠– ٢١ .

تحامَلْ أيُّها الحادِي النبيلُ
ولا يَكْرُبْكَ أنَّكَ صِرْتَ فردًا
وأنَّ كتائبَ المَوْتَى تصولُ
وأنْ دَانُوا بما تأباهُ دينًا
وأنْ نَعِمَتْ بِحِطَّتِها العُقولُ
وطغيانُ الهوَى فى الناسِ حتى
كأنَّا عافَ نِسْبَتَنا العُدولُ
إذا يُمْناكَ راميةً أجادتْ
فقَرَّتْ في مراميها النُّصُولُ
تَرَنَّمْ وَحْشتي طالتْ وقَوْمي
دماءٌ ليس يُوقِظُها المَسِيلُ
أساءَ كَثيرُهُمْ ويكاد يَحْكِي
كثيرَ مَسَاءَةٍ حَسَنٌ قليلُ

أما الطامة الكبرى فهي الدعوة القوية – التي خرجت من لبنان– إلى ترك الوزن جملة من أجل قصيدة النثر[٥٣]، لذا تصدى لها شعرا ونثرا، لأن الوزن ليس شيئا مضافا إلى الفكرة الشعرية بل إنه جزء لا يتجزأ منها، أو هو هي، فصفاته إذن مؤثرة فيها لا محالة[٥٤]، يقول[٥٥]:

يا صَاحِ أَحْسِنْ فَبُغْيَا الكَمَالِ فرضٌ عَيْنُ
ولا تُهَوِّنْ مَقَالَ الخَلِيلِ: خَبْلٌ وخَبْنُ
العَبْقَرِيَّةُ وَحْيٌ والعَبْقَرِيَّةُ وَزْنُ

ولا يستطيع الشاعر أن يمارس عمله عندما تتهيأ له البواعث إلا إذا جاءه أمر من الوزن أو من البحر كما سماه الخليل، عندئذ فقط يمكنه أن يحرك ألفاظه تلك الحركة العجيبة التي نسميها الشعر[٥٦]، ولا يمكن أن يكتب الخلود لشعر يطرح الوزن والقافية[٥٧]:

مُفاعَلَتنْ مُفاعَلَتنْ فَعولُ
وكمْ رَكَضَتْ لنا يومًا خُيولُ
أَعَانَتْهُنَّ حِكمتُنا قديمًا
وها هيَ ذِي إلى سَفَهٍ تَئُولُ
فَوا أسَفا لإلهامٍ يُوَلّى
ووا أسفا لسلطانٍ يَدُولُ
وليسَ يَسُودُ مَن يُعْيِيهِ وزْنٌ
وقافيةٌ تُجَاوِبُهُ عَقُولُ

إن االشاعر يقول لأنه يريد قبل كل شئ أن يغني، ولو كان مراده أولا أن يعبر عن معنى لاكتفى بالنثر، والوزن– إذن– هو الذي يبلغه ما يريد، فليكن إذن رفيقه منذ البدء[٥٨]، يقول[٥٩]:

كَمْ قَرَأْنَا معًا فكان إمامًا أين
مِنِّي جَنًى بكفَّيَّ مُجْنَى
ووَقَعْنَا على نَميرٍ عَتيقٍ
طالَما طَابَ عَذْبُهُ لكِلَيْنَا
وَعَنَانَا– والعَصْرُ عَصْرُ السَّماديرِ
وحَرْبِ المَعْناةِ– مَعْنَى المَعْنَى
ودَفَعْنَا عن الجَرِيحِ الذي أَثْخَنَهُ
الرَّمْيُ واحْتَرَمْنَا الوَزْنَا

هذه الأبيات يتحدث فيها عن علاقته بمحمود محمد شاكر مشيدا بالقديم من الشعر المعتمد على الوزن والقافية، واصفا إياه بالجنى المجنى والنمير

(٥٣) عفت سكون النار/ ٢٨ .
(٥٤) السابق/ ٢٩ .
(٥٥) من وحي الوافر(قصيدة رسالة إلى صاحب عاشق) / ٩١ .
(٥٦) من وحي الوافر/٥
(٥٧) من وحي الوافر(قصيدة من وحي الوافر)/١١٥– ١١٦ .
(٥٨) عفت سكون النار / ٢٣ .
(٥٩) من وحي الوافر (قصيدة محمود محمد شاكر)/ ٤٧ .

العريق ذي المذاق العذب الشهي، متعهدا أن يدفع عنه تغول وبطش أصحاب الشعر الحر .

ويراهن الحساني أن اللغة العربية وجدت لتبقى، وأن شعرها الكلاسيكي ذا الوزن والقافية، المتسم بالنغم والإيقاع، المعتمد على الموسيقي وتوقع القفلة، الذي لاطم أمواج الدهر عشرين قرنا من الزمان، إنما هو كذلك وجد ليبقى، وأن شيوع الشعر الحر في العالم العربي المعاصر إنما هو سحابة صيف عن قليل تقشع[٦٠]:

مُفاعلتنْ مُفاعلتنْ فَعُولُ
أهذا الوقعُ يُدْرِكُهُ الأُفولُ؟
أَجِيبي عن سَليلِكِ يا قُرونًا
تَوَالَى وهْوَ زاهٍ لا يَحُولُ
أَجِبْهُمْ يا ابْنَ كُلْثومٍ ولكنْ
تَرَفَّقْ ربما أَصْغى قَبيلُ
فإنْ صَمُّوا فلا تأسفْ عليهم
سَيَنْجُمُ بَعْدَ هذا الجيلِ جيلُ
يَحِنُّ لِخَفْقَةٍ طُرِحتْ ويأْسَى
لقافلةٍ تَخَوَّنَها الدليلُ
عَلَى أنّي لهمْ وإن استبدُّوا
بمرْصادٍ وإنْ عَزّ المُقِيلُ

بالطبع لا يمكن للشعر العربي أن(يُدْرِكهُ الأُفولُ) ، فقد بقى شامخا يناطح الأزمنة ويطوي الدهور، ولئن كان المعاصرون قد وضعوا أصابعهم في آذانهم، ورغبوا عنه، فإن الأمل في الأجيال القادمة موجود، والباب أمامهم لنصرة ماضيهم غير موصود، ويجب أن يعمل كل مخلص للغته وأمته على الحيلولة دون انقطاعنا عن الماضي، فإن في الماضي فنا عظيما وخبرة عظيمة وقيما لا ينهض قوم بغيرها[٦١]، يقول في قصيدة (مناجاة لعبد اللطيف) موجها حديثه لأبي همام[٦٢]:

أحسنتَ قال أناسٌ: لا يناسبُنا شِعرٌ نَمَتْهُ الفَلا والأُتْنُ والبَعَرُ
وقلتَ: يُبْطِل فِعْلُ الدهرِ زَعْمَكمُ فما تخلّفَ عن إيقاعِهِ عُصُرُ
الشعرُ مِن نفَسِ الرحمنِ مُقتبَسٌ[٦٣]،
له على ما سواهُ السّبْقُ والصَّدَرُ
أمّا الزمانُ فذا حَشْوٌ حوادثُهُ
كأنها لِنسيجِ الناسجِ الوَبَرُ
وإنما اهتَزَّ مِن قبْل اهتزازتِهِ
في عالمِ الغيبِ قبْل الواقعِ – الوَتَرُ
مستفعلنْ فاعلنْ مستفعلن فعلنْ
لحنٌ من الملأِ العُلْوِيّ ينحدرُ

وينعى الحساني على أصحاب الشعر الحر إيثار السلامة، وتفضيل السهولة، واستصعاب العروض والنحو والصرف، والتنكر للقديم، والطعن في الماضي التليد[٦٤] :

أحسنتَ قال أناسٌ مُلِّئُوا حَنَقًا
كأنهمْ في عزيزٍعندهمْ وُتِرُوا
عروضُنا عسِرٌ ونحوُنا
عسِرٌ وصَرْفُنا عسِرٌ ودينُنا عسِر
ُ

(٦٠) من وحي الوافر/ ١١٦ .

(٦١) عفت سكون النار/ ٣٥ .

(٦٢) من وحي الوافر(قصيدة مناجاة لعبد اللطيف)/٩٥ – ٩٦ .

(٦٣) للعقاد بيت من الشعر مشهور: الشعرُ مِن نفَسِ الرحمنِ مُقتبَسٌ = والشاعر الفذ بين الناس رحمن
انظر الديوان / ٤٧ .

(٦٤) من وحي الوافر(قصيدة مناجاة لعبد اللطيف)/٩٦

وقلتَ: ماذا إذَنْ يَبْقَى لَقولُكُمُ
هذا هو الباطلُ البَوَاحُ والنُّكُرُ
لا كانَ – إنْ كان مَبْغاكمْ تَنَكُّرَكُمْ
لِلوحْيِ، أو لِلسانِي– ذلك اليَسَرُ
أحسنتَ قال أناسٌ: ليس يُنهضُنا
ماضٍ تَوَلَّى غريبُ الوجهِ مندثِرُ
وقلتَ: أَسْرفْتُمُ بل سوف يُنهضُنا
وسوف يُنهضُنا أن يُقتفى الأَثَرُ

وهل كل من استصعب أمرا هجره ورغب عنه وطعن فيه؟ ومن قال إن علوم العربية عسرة؟ العربية لها –على وجه العموم– نظام، ومطلوب إذن من أهلها أن ينسجموا مع هذا النظام، وهم يسيئون إليها إن لم يفعلوا، ويسيئون– من ثم – إلى أنفسهم، هي نظام في صرفها، ونظام في نحوها، ونظام في عروضها، ونظام في أساليبها البلاغية[٦٥].

وفي القصيدة نفسها[٦٦] يرى الحساني أصحاب الشعر الحر ضالين عن الصواب، مضلين غيرهم عن الرشاد، تحفل أشعارهم بصور كأنها كحمر مستنفرة، يسمونه تعبيرا بالصورة، وليس من التصوير في شئ، لأن التصوير إعمال المخيلة، فإذا لم تعمل فنحن تجاه صلصلة لفظية خاوية[٦٧]:

عبدَ اللطيفِ وأنت الآنَ تَعلمُ ما
يَنْفي الشكوكَ، وما عَيَّتْ به الفِكَرُ
أمُرسِلٌ أنت للضُّلّالِ قافيةً
تقولُ للناسِ : لا تَغرُركُمُ الصُّوَرُ
فما نهارٌ وما ليلٌ وما فَلَكٌ
وما سديمٌ وما شمسٌ وما قمَرُ
وما حصاةٌ وما رَمْلٌ وما جَبَلٌ
وما سماءٌ وما أرضٌ وما مَطَرُ

أما فيما يخص مقارعة الحجة بالحجة فقد نشر الحساني في الصفحة الأدبية لجريدة الأخبار مقالا بعنوان(محمود حسن اسماعيل يكتب الشعر الحر... لماذا ؟) في محاولة منه لتجديد مناقشة المسألة، ففوجئ بغضب شديد من محمود حسن اسماعيل عبر عنه بنشر قصيدة في مجلة المجلة بعنوان (الوهج والديدان) افتتحها بقوله:

تَفْعيلَتانْ
ثَلاثُ تَفْعيلاتْ
وَسَبْعُ تَفْعيلاتْ
وَأَحْرُفٌ تُعانِقُ الْأَلْحانَ بِالْأَحْضانِ وَالرّاحاتْ
تُدَفِّقُ النّورَ عَلى حَفائِرِ الْأَمْواتْ
شَلّالَ موسيقا بِلا قَواعِدٍ مَرْسومَةِ الرَّنّاتْ
مَعْصومَةِ الْإيقاعِ دونَ حاسِبٍ مُزَيَّفِ الْميقاتْ
يَعُدُّها مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجيءَ
بِالْأَسْبابِ وَالْأَوْتادِ وَالشَّطْراتْ

وهاجم فيها أصحاب الشعر العمودي ووصفهم بـ (عبدة التراث) وأطلق عليهم مصطلح (الديدان)، وأشاد بأصحاب الشعر الحر وأطلق عليهم مصطلح (النسور)، وختمها بقوله:

لِكُلِّ جيلٍ كَأْسُه لا تَفْرِضُوا الدِّنانْ
مَلَّ النَّدامى حَوْلَكُمْ عِبادَةَ الْأَكْفان
فَجَدِّدوا أَرْواحَكُمْ لا تَظْلِمُوا الْميزانْ
فَالشِّعْرُ لَحْنٌ مِنْ يَدِ الرَّحْمنْ

(٥٦) من وحي الوافر / ١٠
(٦٦) من وحي الوافر(قصيدة مناجاة لعبد اللطيف)/٩٦ – ٩٧ .
(٦٧) عفت سكون النار / ٦ .

سُبْحانَهُ سُبْحانْ

فما كان من الحساني إلا أن كتب قصيدة بعنوان(من وحي الوافر) ، وفيها يقول[٦٨]:

مُفاعلتنْ مُفاعلتنْ فعولُ

تواصَلْ أيها الغيثُ الهَطُولُ

سُيولًا تَجْرِفُ الأفيونَ يَنْمُو

على وَرَقٍ تُوافيها سُيُولُ

أعانَ المستبيحَ على التّمادِي

صديقاه: المنافقُ والجهولُ

وأشعارٌ لِنَوَّاحِينَ تَبْكِي

كأنَّ الدَّمْعَ بالبَلْوَى كفيلُ

وزَعَّامونَ ما بَرِحَ ادِّعاءٌ

لَهُمْ تِلْوَ ادِّعاءٍ يستطيلُ

وهَذْرُ الهاذرينَ على أصولٍ

وهذرُ الهاذرينَ ولا أُصولُ

أَيَهْزِمُنا البناءُ على فسادٍ

فَيُتَّهَمَ الكسائِي والخَليلُ

أحاطَ بنا المغُولُ أَجَلْ ولَكِنْ

خِلالَ ديارِنا يَسْعَى مَغُولُ

فهَلْ مِنْ صحوةٍ إنّ الرزايا

طَغَتْ في فَتْكِها، وطَغَى الذُّهولُ

وتعد قصيدة الحساني هذه واسطة عقد ديوانه وحبة القلادة من شعره، وفيها دافع دفاعا مستميتا عن الشعر القديم ووصفه بالغيث الهطول والمجد الأثيل، وقائله بالحادي النبيل، كما فند مزاعم أصحاب الشعر الحر ووصفهم بكتائب الموتي، ووصف كلامهم بالسفه والهراء وشعرهم بالنواح.

وعندما قال أصحاب الشعر الحر إن العبارة الشعرية حرة في الأصل فيجب أن لا تحد بوزن مفروض حتى تتخذ الشكل الذي يلائمها[٦٩]، سخر من حريتهم المزعومة ورماهم بالكسل والضعف وقلة الحيلة[٧٠]:

وكمْ قالوا: تحرَّرْنا فرَدَّتْ

جِبالُهُمُ تشكِّي والسُّهولُ

فَيَا حُرِّيَّةً كَسْلَى تَوَارَيْ

أَذَانا لنْ يُطيحَ بِهِ كَسُولُ

تَبَرَّأت الرجولةُ مِن رجالٍ

قُصارَى دَفْعِهِمْ قالٌ وقِيلُ

ورد عليهم كذلك عندما طعنوا في الشكل القديم للقصيدة وادعوا أنه يفرض على الناظم– لما فيه من ثبوت– أن يقول ما لا يريد[٧١]، ويلجئه إلى الحشو من أجل بلوغ القافية وملء الفراغ المقدور[٧٢]، وأعلن فساد قولهم لأنه يغض – ضمنا– من الأنظمة التي قامت عليها أشعار الدنيا كلها منذ كان الشعر[٧٣]، إن كلامهم ليس إلا هراء لا يستحق عناء الرد عليه وليس جديرا بالالتفات إليه[٧٤]:

رغِبتُ عن الهُراءِ فيا جليسي

تَفَطّنْ، لستُ أسمعُ ما تقولُ

ويا هَمّي سيُمضيكَ اعتزالٌ

وليلٌ لا يُقالُ لَهُ : طويلُ

(٦٨) من وحي الوافر/ ١٢٣ – ١٢٤ .

(٦٩) عفت سكون النار/ ٢٢ .

(٧٠) من وحي الوافر(قصيدة من وحي الوافر) / ١٢٢ .

(٧١) عفت سكون النار / ١٣ .

(٧٢) السابق/ ٢٠ .

(٧٣) السابق/ ٢٠

(٧٤) من وحي الوافر(قصيدة من وحي الوافر)/ ١١٤ .

ونَظْمُكَ كُلما عَدَت العَوادي
قريضًا لا يُدَاخِلُهُ فضولُ
به أَنَفٌ مِن المكرورِ، فاقْنعْ
بِصُحْبَتِهِ فذاك هو الخليلُ
يُحَدِّثُ فيَّ قبل السمعِ رُوحي
وإن يُطْنِبْ فَإطْنَابٌ جميلُ

وينتهي الحساني إلى القول:"أرفض الشعر الحر لأني على يقين من فساد النظام الذي يقوم عليه ... إن الشكل الذي يقوم عليه الشعر الحر ذو خصائص من شأنها أن تضر بالكلام في مرحلة التكوين إضرارا لا تنجو منه ملكة مهما عظمت"[٧٥].

التمرد السياسي:

لم يكن الحساني بمعزل عن الحياة السياسية ولم ينفصل عن الأحداث والقضايا العامة التي عاصرها منذ بدأ يقرض الشعر في أواخر الخمسينات، وتتلخص رؤية الحساني في أن الشعر صعب، وبعض صعوبته أن الشاعر لا يمكنه أن ينظم إلا إذا كان صاحب هم، والهموم أنواع ، ... ، ومن أشدها ما يتعلق بالأمة حين تنتابها النوائب وتطلب ما يشد أزرها في مواجهتها فلا تجد، وذلك عند الشاعر الكبير الهم الأكبر، يريد الشاعر أن يكون فعالا مقداما، ويريد لأمته –وخصوصا في وقت المحن– أن تكون كذلك جسورة لا تبالي الخطر حين يجد الجد، وهو يستاء جدا إذا أمل ولم يجد عقبى تأميله إلا الخور والقعود والنكوص[٧٦].

كتب الحساني عددا من القصائد ذات الصبغة السياسية أبان بعضها عن تمرده على بعض الشخصيات، و كشف البعض الآخر عن رفضه لبعض الأحداث.

من الشخصيات السياسية العالمية التي تعرض لها الحساني وشهر بها ورفض أعمالها (الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون)، وقد وجه إليه الحساني قصيدة بعنوان(إلى بيل كلينتون... لا سَلَامٌ عَلَيْكَ)[٧٧]، في بدايتها اتهمه بالمكر والخديعة والتمثيل حيث يساهم في قتل الأطفال ثم يبكي عليهم، ويعمل على ترميل النساء ثم يصرخ معهم:

تَرَقْرَقَ دَمْعُكَ يا لَيْتَ شِعْري
أَحَقٌّ دُمُوعُكَ أمْ مَسْرَحُ
أَتَبْكِي؟ أَشُكُّ إذَنْ كَيْفَ
هانَ عَلَيْكَ دَمٌ آمِنٌ يُسْفَحُ
إذا كُنْتَ تَبْكِي لِطِفْلٍ تَيَتَّمَ
فَابْكِ على وَالِدٍ يُذْبَحُ
أَتَقْتُلُنَا كَيْ يَقُولَ قُضَاتُكَ:
إنَّكَ أَحْسَنْتَ كَيْ يَصْفَحُوا
فذَلِكَ أَعْجَبُ مِنْ كُلِّ أَعْجَبَ
أَطْفَحُ مِنْ كُلِّ ما يَطْفَحُ

(٧٥) عفت سكون النار / ٢٩ .

(٧٦) الحساني حسن عبد الله: أحمد حجازي وثورة يوليو– الصفحة الرسمية للحساني على فيسبوك– مقال منشور بتاريخ ٢١ / ٧ / ٢٠١٧م .

(٧٧) من وحي الوافر(قصيدة إلى بيل كلينتون ... لا سَلَامٌ عَلَيْكَ) / ٥١ – ٥٢ .

ثم انتقل للحديث عن غزة وما تعانيه من قيود وأغلال، وما ترزح تحته من نير ونار، وغيرها من الفظائع التي ترتكب فيها على مرأى منه ومسمع، وهو ساكت لا ينطق، ساكن لا يتحرك، على الرغم من استقبال غزة له، وترحيبها به، وأملها فيه، وثقتها به:

أَتَيْتَ القَبِيحَ ولكنَّ ذَلِكَ مِنْ
كُلِّ ماجِئْتَهُ أَقْبَحُ
وحَيَّتْكَ غَزَّةُ عَلَّ الطَّرِيقَ
إلى رَفْعِ أَغْلَالِها يُفْتَحُ
وهَا هِيَ ذي تَحْتَ نِيرٍ ونَارٍ
وبَغْيٍ عَتَا لمْ تَزَلْ تَرْزَحُ

من أجل هذا يدعو الحساني إلى عدم استقباله أو الترحيب به في بلاد العرب والمسلمين، كذا يدعو إلى عدم تصديقه أو الاستماع إليه أو الثقة به:

لَئِنْ كان ظُلْمُكُمُ فادِحًا
لَتَرْحِيبُنا بِكُمُ أَفْدَحُ
أَلَا خَابَ غِرٌّ أَلَا خَابَ فَدْمٌ
يُصَدِّقُ أَنَّكُمُ الأَصْلَحُ
أَهَذِي حَضَارَتُكُمْ؟! يَا لَها! يَا
لَقَشٍّ بِأَجْوافِكُمْ يَسْبَحُ

ثم انتقل للحديث عن المشروع الأمريكي للإيقاع بالعرب وتدميرهم وتقسيمهم وسلب ثرواتهم والذي عرف وقتها بالنظام العالمي الجديد، متهما إياه بالرغبة في إشاعة الفوضى والتدمير والإحراق وتضييق الخناق على العرب والمسلمين:

وأيُّ نِظَامٍ وأيُّ جَدِيدٍ ونَحْنُ
بِفَوْضاكُمُ نُلْفَحُ
لَدَيْكُمْ قُرُونٌ ولاكِ اعْلَمُوا
بأنَّ الحِجارةَ لا تُنْطَحُ
وأنَّ الطَّبِيعةَ ذَاتُ فُنُونٍ
وأنَّ التَّنَوُّعَ لا يُكْبَحُ
إذا كَانَ حَرْقُ البِلادِ
وخَنْقُ العِبادِ نِظَامًا فلَنْ تُفْلِحُوا

وفي ختام القصيدة يدعونا وزعماءنا ألا نكون ألعوبة أو دُمى في يد الغرب يحركنا كيف يشاء على مسرح الأحداث:

أَلَا كُلُّ ما حَوْلَنا مَذْبَحٌ
أَلَا كُلُّ ما حَوْلَنا مَسْرَحُ

عبرت لغة الشاعر في هذه القصيدة عن وصوله إلى قمة غضبه وسخطه وتمرده بداية من العنوان (لا سلام عليك) ثم من خلال استخدام صيغ الاستفهام(أَحَقٌّ دُمُوعُكَ أمْ مَسْرَحُ؟– أَتَبْكِي؟– أَهَذِي حَضَارَتُكُمْ؟ – كَيْفَ هانَ عَلَيْكَ دَمٌ آمِنٌ يُسْفَحُ؟– أَتَقْتُلُنَا؟ – وأيُّ نِظَامٍ؟– وأيُّ جَدِيدٍ؟) بما يحمل من دلالات الحيرة والتعجب والدهشة .

كما تحمل عبارات (دَمٌ آمِنٌ يُسْفَحُ– طِفْلٍ تَيَتَّمَ – وَالِدٍ يُذْبَحُ– أَغْلَالِها– نِيرٍ ونَارٍ وبَغْيٍ– كان ظُلْمُكُمُ فادِحًا– نَحْنُ بفَوْضاكُمُ نُلْفَحُ– حَرْقُ البِلادِ – خَنْقُ العِبادِ– مَذْبَحٌ) مرارة وسخطا على أمريكا ورئيسها وسياستها التي تسمح بارتكاب هذه الفظائع في بلادنا العربية دون أن يتحرك فيها ساكن، بل وتساعد على ارتكابها.

لقد وظف الحساني قصيدته هذه ليعلن رفضه لأمريكا ورئيسها وسياستها، إنه يرى بعين الخبير أن بلادنا – كل بلادنا– لا مصر وحدها ألعوبة في يد الغرب، وإن لم نعرف هذا ونرتب عليه المسلك السياسي الجدير بالعارفين فنحن بلا شك في الهالكين[٧٨].

وإذا ما تركنا الشخصيات واتجهنا صوب الأحداث السياسية رأينا الحساني يرفض (الغزو الأمريكي للعراق) حيث أنكر على الأمريكيين هذا الغزو ورفضه وهاجمه وأبان عن آثاره المدمرة على شعب العراق، يقول موجها حديثه إلى الرئيس الأمريكي[٧٩]:

أَقُولُ لَكُمْ: سيَئِنُّ العِراقُ
ولكنَّكُمْ بَعْدُ لَنْ تَنْجَحُوا
ستَبْقَى جِراحاتُنا يا عَدُوَّ
الأَجِنَّةِ يا سُمَّها تَنْضَحُ
عَدَاءً ولَكِنَّهُ– هَكَذا عَلَّمَتْنا
المُرُوءَةُ– لا يَجْمَحُ

ويتحدث الحساني عن معاناة الشعب العراقي والجوع والحرمان الذي لحق به بعد الغزو الأمريكي، ويدعو إلى الحزن لهم، والتضامن معهم، والثورة على من أجاعهم[٨٠]:

أَتَانِيَ أنّ عِيَالِيَ جَاعَتْ فقُلْتُ:
وجَاعَتْ عِيالُ العِراقْ
إذا كَانَ جُوعُهُمُ لا يُطَاقُ ف
ـكَمْ مُنْكَرٍ حَوْلَنَا لا يُطَاقْ
سَيَأْتِي الطَّعامُ فماذا لَدَيْكِ
إذا لَمْ يَعُدْ شَاغِلًا الِارْتِزاقْ
كَفَى حَزَنًا وانْظُرِي واغْضَبِي
لى مَنْ أَجَاعُوا عِيَالَ العِراقْ

ومن الأحداث السياسية التي عاصرها الحساني ورفضها (الحوار مع إسرائيل)، ورأيناه يندد بالسلام معهم، ويدعو إلى إعداد العدة لهم، فهم أهل غدر، وليس لهم عهد ولا ذمة، ومن ينكر هذا فليراجع صفحات التاريخ[٨١]:

والذي لا يُعِدُّ ما يَرْدَعُ البَغْيَ
بدَعْوَى السَّلامِ– أغْبَى غَبِيّ
ما حِوارٌ يَدُور– باللهِ
ما بَيْنَ شِيَاهٍ وعَالَمٍ ذِئْبِيّ
فاحْذَرِي يا ابْنَتِي أَسَاتِذَةَ
الذِّلَّةِ فِينا خَلائفَ ابْنِ أُبَيّ
واقْرَئِي يا ابْنَتِي لتَجْتَنِبِي خَبْطَ
الحَيارَى في الغَيْهَبِ العَصْرِيّ

ولا يزال الحساني يدعو العرب إلى أخذ الحيطة والحذر من اليهود، ولا يعني أننا عقدنا معهم معاهدة سلام أن نستكين لهم أو نوادعهم أو نضع أسلحتنا[٨٢]:

أمّا السلامُ فذا لفظٌ بلا مَعْنَى
إذْ إنَّ كُلًّا على ليلاهُ قد غَنَّى
قلنا: ومَنْ لم يَذُدْ عَنْ حوضِه يُهْدَمْ
والظّلمُ طَبْعٌ فَمَنْ لم يَدَّرِعْ يُظلَمْ

(٧٨) الحساني: بعض الخفي من سيرة العقاد– الصفحة الرسمية للحساني على فيسبوك– نشر بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٢٤م .

(٧٩) من وحي الوافر (قصيدة إلى بيل كلينتون ... لا سَلَامٌ عَلَيْكَ)/ ٥٢.

(٨٠) من وحي الوافر (قصيدة يا فاطمة اعملي) / ٨٣ .

(٨١) من وحي الوافر (قصيدة لك عين فأبصري)/٤١.

(٨٢) من وحي الوافر (قصيدة قسم للقدس) / ٦٦ .

أمّا السلامُ الذي لم يَحْمِه سَيْفُ
فهو السحابُ الذي بدَّدَه صيفُ

وفي المقطوعة السابقة استعار الحساني لفظ ومعنى بيت زهير بن أبي سلمى:

ومَنْ لم يَذُدْ عَنْ حوضِه بسلاحه
يُهْدَمْ ومن لا يتقي الشتْم يُشْتم

لقد كان الحساني يتبنى فكرا سياسيا مناهضا لليهود، وها هو يذكرنا أن اليهود أعداؤنا بالفطرة، وأنهم يعملون من أجل محو تاريخنا والقضاء علينا[٨٣]:

عَدُوٌّ لَنَا مِنْ قَديمٍ جَميعًا
جَميعًا عَدُوٌّ ليَوْمِ التَّلاقْ

مُقَرِّرَةٌ أَنْ نَذِلَّ لها أو
نَزُولَ كما زَالَ عَصْرُ النِّياقْ

حِيَالَكِ نَارٌ تُعَدُّ ونَحْنُ
جَميعًا يُرَادُ لَنَا الاِحْتِراقْ

لِيُدْفَنَ تَارِيخُنَا في البَقِيعِ
ويَطْوِي اللَّيالِي الخَوَالِي مَحَاقْ

أما عن فظائع اليهود فحدث ولا حرج ويكفي أنهم استوطنوا أراضينا العربية بعد أن طردوا سكانها الأصليين[٨٤]:

وَسْطَ هذا الضَّجيجِ هُدوءٌ
يُفكّرُ كَيْفَ نَموتُ ولا نَفْطُنُ

كيف نُذْعِنُ شيئًا فشيئًا لأَنْ
يَطْرُدَ المالِكَ الأَرْضَ مُسْتَوْطِنُ

وكأنَّ جَلابِيبَ أَبْناءِ يَعْرُبَ
وَهْيَ مُعَطَّرَةٌ – تَعْطُنُ

إضافة إلى القتل والهدم والتشريد[85]:

للسَّلْم قد جَنَحوا ...قُلنا: كفَى زُورا
لَطالما ذبَحوا ... وهدَّموا الدُّورا

إن فكرة الرفض السياسي عند الحساني تمحورت حول شخصية الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، كما تركزت في حدثين كبيرين هما: الغزو الأمريكي للعراق ومعاهدة السلام مع إسرائيل.

التمرد الثقافي :

رفض الحساني الثقافة الغربية الوافدة وتمرد عليها ووصف أتباعها بالأموات تارة، والأدعياء أخرى وأهل البغي والضلال ثالثة، ونبه على أن ما يُصدر إلينا من ثقافات ومعارف وفكر غربية – بداعي إيقاظنا وتنويرنا– لا تخلو من معاول هدم لأمتنا وثقافتنا العربية الأصيلة، ويدعو ابنته إلى الرغبة عن هذه الثقافة وإلى العودة إلى ماضينا العريق وتراثنا الأصيل[٨٦]:

اقْرَئِي يا ابْنَتِي قِرَاءَةَ حَيّ
يَتَحَرَّى المَعْناةَ لا غَيْرِ حَيّ

لَكِ عيْنٌ فأَبْصِرِي لَيْسَ شَيْءٌ
مِنْ بَلايَا تَنْوِيرِهِمْ بخَفِيّ

ثُمَّ شُقِّي إلى العَلاءِ طَريقًا شُقَّ مِنْ
قَبْلُ مُنْذُ عَهْدٍ قَصِيّ

سَارَ فِيهِ كَمْ سَارَ فِيهِ على
لَأْوَائِهِ مِنْ كَمِيَّةٍ وكَمِيّ

إن أية مقارنة بين الثقافتين العربية والغربية ليست إلا مقارنة بين النور والظلام، بين الأصيل

(٨٣) من وحي الوافر(قصيدة يا فاطمة اعملي) /٨٤ .
(٨٤) من وحي الوافر(قصيدة حصار) /٣٩
(٨٥) من وحي الوافر(قصيدة قَسَمٌ للقُدس مِنْ جيلٍ قادم) / ٦٢ .
(٨٦) من وحي الوافر(قصيدة لك عين فأبصري)/ ٤١ .

والزائـف، فلنحـذر أن نكـون بـوق دعايـة لهـذه الثقافة وأصحابها[٨٧]:

فاعْرِفيهِ لتَعْرِفِي فَرْقَ ما بَيْنَ
ضِياءٍ أَصْلٍ وضَوْءٍ دَعِيّ
لَيْسَ هذا اليَوْمُ الذي أَنْتِ فيهِ
غَيْرَ جُزْءٍ مِنْ غَابِرٍ مَطْوِيّ
لَكِ مَاضٍ عَزَّتْ بِهِ دَارُ لَيْلَى
ومَغانِي لُبْنَى وسُعْدَى ومَيّ
فاعْرِفيهِ وأَنْكِرِي أَنْ تَكُونِي
وَطَرًا شَائِعًا لأَهْلِ الغَيّ

وينظـر الحسـاني بعـين الريبـة والشـك إلـى الفكـر الـدخيل، ويـؤمن أنـه لا يخلـو مـن مـآرب خبيثـة، وأن البلاء ربما يكون موكلا بالتقدم، لذا لا يجب أن نطمئن لكل ما يفد إلينا، أو أن نلهث وراءه كما يفعل الأحداث قليلوا الفهم والخبرة[٨٨]:

فاسْتَرِيبِي إذا التَّقَدُّمُ نَادَى قَدْ
يَكُونُ البَلَاءُ في مُهْتَجَلْ
وإذا ما رَأَيْتِ قَهْقَهَةَ الغِرِّ
فقُولِي: رَأَيْتُ عَيْرًا زَجَلْ

وينبـه الحسـاني إلـى خطـورة الثقافـة الغربيـة الوافدة ويحـذر مـن أسـلحتها المسمومة، ومكرهـا وخداعها، إنها لا تريد بأمتنا خيرا، بل تريد تمزيق أوصالنا وقطع صلتنا بثقافتنا وتاريخنا[٨٩]:

هبطَ الليلُ فادَّكَرْتُ بلادِي
ولسانِي وخَنجرًا مُسْتلّا
يستعينُ الدُّجَى لِيَبْقُرَ عَمْدًا
أُمّةً بالكواكبِ الزُّهْرِ حُبْلَى
خَدَعتْها ريحُ الشَّمالِ فباتتْ
في الهواء العليلِ تَنْشَقُ سُلّا
قطعةً قطعةً تخورُ قُواها
أَيّمًا حِينةً وحينًا ثَكْلى

وينبـه الحسـاني إلـى بغـي أهل الشمال ويحذر من مكرهم بنا، وحقدهم علينا، ورغبتهم في إيذائنا، وإلحاق الضرر بنا، بل وإذلالنا، وإذا كان من بيننا من خضع لثقافتهم وركع أمام فكرهم، فإن فينا من يدافع عن لغتنا ويُغير على ثقافتنا، يقول موجها حديثه لأبي همام[٩٠]:

أَمُذْكِرٌ أنت أهلَ الغرْبِ أنهمُ وإنْ
سما عِلمُهمْ جدًّا وإنْ نُصِروا
بَغَوْا وأنّ لديْنا مثلَما مَكَروا
مكْرًا فلا يُعْجِبَنْهُمْ أنهم قَدَرُوا
وأنه إنْ يكنْ فينا الأُلَى خَنَعوا
فثَمَّ شُمْسٌ أُباةٌ غيرُهُمْ غُيُرُ
شُمٌّ دُهاةٌ رُماةٌ قال قائلهُم لَمّا
استحرَّ الأذى واستفحل الضّررُ
وبان أن الحوارَ المُدّعَى عَبَثٌ
وأنّ داءً قديمًا لم يَزَلْ يغِر
وأنّ كلَّ مَرامِ الغربِ ذِلَّتُنَا
شيئًا فشيئًا وأنَّ الوَغْرَ يتّغِرُ

إن خطط الغرب مكشوفة وألاعيبهم معروفة، خطط لعينة من يروج لها أو يقبلها لا يستحق أن يحيا بيننا أو يدب فوق أرضنا وتحت سمائنا، إنه جدير بالاحتقار قمين أن يواجه بالسيف البتار[٩١]:

(٨٧) من وحي الوافر (قصيدة لك عين فأبصري)/٤١ .
(٨٨) من وحي الوافر (قصيدة ناران)/ ٧٧ ، مُهْتَجَل: مُبْتَدَع، زَجَلَ: رَفَعَ صَوْتَهُ وأَجْلَبَ.
(٨٩) من وحي الوافر (قصيدة مناجاة للمتنبي)/ ٩٣ .
(٩٠) من وحي الوافر (قصيدة مناجاة لعبد اللطيف) / ٩٧ .
(٩١) من وحي الوافر (قصيدة مناجاة لعبد اللطيف)/ ٩٧ .

وَيُلُمِّها خُطَّةً وَيْلُمِّ قَابِلِها
لمثلِها خُلِقَ الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ
وإنّ بطنَ الثَّرى أوْلى بِمُمْتَحَنٍ
مِنْ أن يَدِبَّ عليهِ وَهْوَ مُحتقَرُ
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائف
في متونهنَّ لأهلِ الملةِ الوَزَرُ

وواضح أن البيت الأخير يستعير فيه الحساني لفظ ومعنى بيت أبي تمام[٩٢] :

بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائف
في متونهنَّ جلاء الشك والريب

وإذا كان أبناء الغرب أنفسهم يقرون أنهم أفادوا من الثقافة العربية، وأن فضلها عليهم لا ينكر، ودورها في تنويرهم لا يدفع، وقت أن كانوا يلاطمون أمواج الظلام، فلماذا إذن التهافت والسعي وراء فكرهم الهدام؟ إننا لن نجني من وراء ذلك إلا الخسران المبين[٩٣]:

أمّا التهافتُ إيثارًا لعافيةٍ
فذاك واللهِ رأيٌ طاش مُبْتَسَرُ
وذاك أنّا انتقلْنا من أذًى لأذًى
إذا نَأَى خُسُرٌ أَلْوَى بنا خُسُرُ
فَلتخْسأ الحكمةُ العرجاءُ كم
حِكمٍ أَتَتْ علينا مُنيخًا فوقنا الصِّغَرُ

هكذا كانت ثورة الحساني على بنات أفكار الغرب، وهكذا كانت نقمته على المروجين لها، ويتلخص رأيه في وجوب أن يعمل كل مخلص للغته وأمته على الحيلولة دون انقطاعنا عن الماضي[٩٤]، وماذا نكون بغير تراث قادر على الإسهام في تكويننا[٩٥]؟

التمرد الاجتماعي :

عاش الحساني السبعة عشر عاما الأولى من حياته في مسقط رأسه بالأقصر ثم انتقل إلى القاهرة، ويبدو أنه رأى فيها من العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية ما لا عهد له به، اصطدم الحساني بالقاهرة وأجوائها الصاخبة وربما لم يعجبه الكثير مما شاع فيها فرفض وتمرد وتحسر على المجتمعات الغابرة ورجالها ذوي الأصالة والعراقة الذين يحسنون الكلام، ويرفضون الذل والهوان، همهم البناء لا الهدم، وديدنهم مكافأة المحسن والضرب على يد المسيء، يقول في ثنايا رثائه لمحمود محمد شاكر[٩٦]:

شَيِّعُوهُ مضى الزمانُ الذي كان
جمالُ الكلام فيه مِجَنّا
شَيِّعُوهُ مضى الزمانُ الذي
كان إباءُ الهوانِ فيه فَنَّا
شَيِّعُوهُ مضى الزمانُ الذي
كان إذا هُدَّ فيه شيءٌ يُبْنَى
والذي كان عندما يُحْسِنُ
المُحْسِنُ يَجْزِي إحْسانَهُ والحُسْنَا
والذي كان إنْ أساء مُسيءٌ
لمْ يَهَبْهُ وإنْ يَكُنْ فِرْعَوْنَا

أما المجتمعات المعاصرة فاتسعت لذوي البلادة وأرباب الغي وأصحاب الضلال والمجون،

(٩٢) أبو تمام: ديوان– شرح الخطيب التبريزي– تح راجي الأسمر– دار الكتاب العربي بيروت– ٢/ ١٣٥ .
(٩٣) من وحي الوافر(قصيدة مناجاة لعبد اللطيف)/ ٩٧ – ٩٨ .
(٩٤) عفت سكون النار/ ٣٥ .
(٩٥) عفت سكون النار/ ٣٤ .
(٩٦) من وحي الوافر(قصيدة محمود محمد شاكر)/ ٤٨

ويرى الحساني أن الموت خير من الحياة بين هؤلاء المتساهلين في حقوقهم، المتشبثين بآرائهم[٩٧]:

فَارَقْتَ دُنْيَا لا تُحبُّ
وإِنْ تَكُنْ أَحْبَبْتَها رَغْمَ القَذَى المُتَجَدِّدِ
ورَحَلْتَ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ
لا مَكانَ هُنا لغَيْرِ بَلَادَةِ المُتَبَلِّدِ
ورَطَانَةِ العُبْدَانِ للعُبْدَانِ بِئْسَ
الحِبْرُ بِئْسَ العَيْشُ بَيْنَ الأَعْبُدِ
أَغْمِضْهُما إنَّ التُّرَابَ أَبَرّ
ُ مِنْ فَلَكٍ غَوٍ مُتَمَاجِنٍ مُتَهَوِّدِ
أَغْمِضْهُما لا خَيْرَ في مُتَسَاهِلٍ-
شَهِدَتْ هَزَائِمُنَا- ولا مُتَشَدِّدِ

كذلك رفض الحساني ما شاع وانتشر في مجتمع النساء من إسفاف وعري وتثن ودعاهن إلى رفع راية العفاف وصيانة العرض والعزوف عن المغاني والمراقص والمماجن[٩٨]:

يا صَاحِ غَنَّتْ قِيَانٌ لِيَسْتَمِيلَكَ مَجْنُ
وعَلَّمَ البنتَ درسًا في كيف تَعْرَى تِقْنُ
والرَّقْصُ إنْ كانَ فنًّا فَصَوْنُ عِرْضِكَ فَنُّ
وَلَدْتَ لِلْعَارِ بِنْتًا لِغَيْرِ حِلٍّ تَرْنُو
أَبْلِغْ سُعَادَكَ أَنَّ العَفَافَ أَيْضًا حُسْنُ
أَفْدِي ظِبَاءَ فَلاةٍ لم يُغْوِهِنَّ الرَّطْنُ
ولا تَخَاضَعْنَ كَيْ يَسْتَبِيكَ جَرْسٌ لَيْنُ
ولا تَثَنَّى إذا ما سِرْنَ القَوَامُ اللَّدْنُ

ولا يزال الحساني كلما ضاق ذرعا بشئ أو حزبه أمر لا يجد إلا شاعر العربية الأول- المتنبي- يلجأ إليه شاكيا أو مقتبسا أو مستمدا، وتشهد المقطوعة السابقة استعارة الحساني لفظ ومعنى بيت المتنبي[٩٩]:

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

وينعى الحساني على أبناء مجتمعه رغبتهم عن معالجة القضايا الهامة وجنوحهم نحو القضايا والمسائل الفرعية، تركوا قضايا أمتهم المصيرية وصاروا يتجادلون حول والشارب واللحية وتقصير الجلباب وإطالتها[١٠٠]:

يا خاطِبَ العِزَّةِ ما أُمْهِرَتْ
يومًا سوى القَضَّابةِ القاضِبِ
لا تَعْذِلَنِّى أنَّ لى شاربًا
لَمْ يُحْفَ أو أنى بلا شاربِ
الدينُ بيداءٌ، فأوغِلْ، ولا
تُمْسِ بجَوْفِ الليل كالحاطبِ

ليس الجلابيب التي قُصرت
ولا لحىً كالأمل الخائب

ويصب الحساني جام غضبه على أبناء مجتمعه الذين يعيشون في حيرة وتخبط وغياب عن الوعي، عددهم كثير وفعلهم قليل، غثاء كغثاء السيل، يعشقون الإمارة ويفتقدون الأنفس الحرة الأبية[١٠١]:

مَنْ أنتمُ وَيْحَكمْ ما هذه السَّكْرةْ

(٩٧) من وحي الوافر (قصيدة معارضة تأخرت)/٤٤- ٤٥ .
(٩٨) من وحي الوافر (قصيدة رسالة إلى صاحب عاشق) /٨٩- ٩٠.
(٩٩) ديوان المتنبي ١ / ٢٢٥ .
(١٠٠) من وحي الوافر (قصيدة وجد زمان) / ١٠٧
(١٠١) من وحي الوافر (قصيدة قسم للقدس من جيل قادم)/٥٩- ٦٠

كأنما ضُرِبتْ عليكمُ الحَيْرَةْ
رأيتُكم كَثْرَةْ لكنْ بلا قُدْرَةْ
رأيتُكمْ عَرَبًا فَاتَتْهمُ الغَيْرةْ
جَهِلْتمُ الإمْرَةْ يا عاشقي الإمرَةْ
وأنتمُ أَعْبُدٌ لا أنفُسٌ حُرَّةْ
تركتُموني هنا أمشِي على الشَّوكِ
تاريخُكمْ وأنا في قبضةِ الشّرْكِ

إذن فلا خير في الحياة إذا كان ما يشغلنا فيها – فقط– الطعام والشراب والكساء، وليذهب الأحياء إلى الجحيم إذا كانوا قليلي الهمة كأنهم أعجاز نخل خاوية[١٠٢]:

وتَبًّا لصَبْرِي إذا ما رَضِيتُ
بأَنّي غُذِيتُ وأنّي كُسِيتْ
وأَنْ أَتَقَلَّبَ بَيْنَ رِجَالٍ
كَأَعْجَازِ نَخْلٍ كَدَوْمٍ نَحِيتْ

التمرد النفسي:

التمرد على النفس شكل جديد من أشكال تمرد الحساني ظهر في شعره كنتيجة طبيعية لأشكال التمرد السابقة – الأدبي والسياسي والثقافي والاجتماعي– وربما يكون إبداع شاعرنا الأدبي والنقدي يعود إلى نفسه المتمردة وروحه الثائرة،"ففي كثير من الأحيان تكون النفس المتمردة هي الدافع للتعبير الفني وتفجير ملكة الإبداع"[١٠٣].

في أحيان كثيرة بدا الحساني– من خلال شعره– رافضا حياته متمردا عليها، يعزف على وتر الموت والفناء، من الناحية المادية افتقد الوجه الحسن والفراش الوثير والعيش الرغد والروائح الذكية، ومن الناحية المعنوية صار مجفيا منفيا محاصرا، غير مراد ولا مفتقد، يحيا حياة يغلفها الظلام، لا يرى شيئا كما لو كان فقد بصره أو حوصر في بطن الحوت[١٠٤]:

وما بِيَ أَنّي– وإنْ كان وَعْرًا على
المَرْءِ حَزُّ الجَفَاءِ– جُفِيتْ
وما بِيَ وَجْهٌ مَلِيحٌ وفَرْشٌ
وَثِيرٌ ولَيْلٌ ومِسْكٌ فَتِيتْ
ولَكِنَّ ما بيَ أَنّي مُرادٌ
ومُفْتَقَدٌ ثُمَّ أَنّي نُفِيتْ
إلى أَبَدٍ كُلَّما شِمْتُهُ
تَنَاءَى وخُلِّفْتُ نِضْوًا بَهِيتْ
وأَظْلَمَ أَرْخَى السُّدولَ
عليَّ فلمْ أَرَ شَيْئًا كأَنّي عَمِيتْ
أهَذي النِّهايةُ يا زائِري
أَقُدِّرَ لى الْعَيْشُ في بَطْنِ حُوتْ

ويتساءل الحساني عن جدوى الحياة إذا كان الموت يحاصره ويدنو منه ويعاني سكراته كل يوم، ما جدواها وقد تفرق شمله وتخلى عنه طموحه؟ ما جدواها وقد صار لا يرجى خيره ولا يؤمن شره؟ يداه مقيدتان وقدماه مشلولتان[١٠٥]:

إذا كُنْتُ في كُلِّ يَوْمٍ أَمُوتُ
فقُلْ لي لماذا إذَنْ لا أَمُوتْ
سيُطْبِقُ يَوْمًا فماذا لَوَ انّيَ
أَسْلَمْتُ سَقْفِيَ للعَنْكَبُوتْ

(١٠٢) من وحي الوافر(قصيدة فتوى لكنها مرفوضة) / ٨١
(١٠٣) فاروق القاضي: آفاق التمرد .. قراءة نقدية في التاريخ الأوربي والعربي المعاصر– المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت– الأولى ٢٠٠٤م / ٢٢ .
(١٠٤) من وحي الوافر(قصيدة فتوى لكنها مرفوضة)/٨٠ .
(١٠٥) السابق نفس الصفحة .

وفِيمَ الحَياةُ إذا طَرَحَتْنِي
طُمُوحًا تَوَلَّى وشَمْلًا شَتِيتْ
كَزِقِّ رِيَاحٍ فَلَا أَنَا رَاجٍ
ولا أنا كَافٍ إذا ما رُجِيتْ
لَقًى ذا يَدَيْنِ وذا قَدَمَيْنِ
ولَكِنْ لَقًى كَهَشِيمٍ بَتِيتْ
وَلِيتُ وهَأَنَذا مُوثَقٌ
يُعَجِّزُنِي القَيْدُ عَمَّا وَلِيتْ

وتشي اختيارات الشاعر اللغوية في هذه الأبيات برفضه للحياة ورغبته عنها (في كُلِّ يَوْمٍ أَمُوتُ – لماذا إذَنْ لا أَمُوتْ – فِيمَ الحَياةُ)، كما تحمل عبارات(طُمُوحًا تَوَلَّى– شَمْلًا شَتِيتْ – فلَا أَنَا رَاجٍ– لا أنا كَافٍ – لَقًى، كَهَشِيمٍ بَتِيتْ– هَأَنَذا مُوثَقٌ– يُعَجِّزُنِي القَيْدُ) كما هائلا من المعاناة النفسية وعدم الرضا عن الذات، لا سيما وقد ضعفت قوته وقلت حيلته وهان على الناس

وفي لحظة من لحظات التمزق النفسي والمعاناة يشعر الحساني أنه فقد مقومات الحياة وأمسى أطلال إنسان لم يبق له من الحياة إلا أن يُؤمر ويُنْهى، يبكي وينتظر لحظة أن يُبكى عليه، تمر بمخيلته ذكريات الماضي فيحن إليها، ويود لو عاد به الزمان إلى شوارعه بمشاهدها وبيوته بمناظرها، كل ذلك يؤدي إلى نتيجة واحدة هي أنه رقى أولى درجات سلم الفناء[١٠٦]:

أَلَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ أَنِّي دَبَبْتُ
وأَنِّي أُمِرْتُ وأَنِّي نُهِيتْ
وأَنِّيَ أَمْسَيْتُ أَضْغَاثَ حُلْمٍ
وأَنِّيَ أَصْبَحْتُ بَطْنًا وقُوتْ
وأَنِّي بَكَيْتُ على طِفْلَةٍ
بلا سَنَدٍ خُلِّفَتْ وبُكِيتْ
أَلَمْ يَبْقَ لي غَيْرُ أَنِّي أُحِسُّ
بِأَنِّي حُرِمْتُ وأَنِّي ضَنِيتْ
أَلَمْ يَبْقَ إلَّا الحَنِينُ
وإلَّا شَوَارِعُ مَذْكُورَةٌ وبُيُوتْ
أَلَمْ يَبْقَ إلَّا ادِّكَارُ مَنَاظِرَ
طَيَّ الفَنَاءِ إذَنْ قَدْ فَنِيتْ

ونلمح في هذه الأبيات معاناة نفسية نشأت من إسناد المفردات إلى ضمير المتكلم (أني دببت– أمرت– نهيت– أصبحت– بكيت – حرمت– فنيت)، كذا فإن تكرار أسلوب الاستفهام المنفي(ألم يبق) الذي يحمل معاني التقرير يشي بزوال المتع الحسية وفقدانه الملذات الحياتية، أما شعوره بالفناء فيشي به استخدام العبارات(أمسيت أضغاث حلم – فنيت).

وتتعالى نبرة خطاب الحساني المعبرة عن رفضه ومعاناته الذاتية من خلال شكواه المستمرة ،إذ عضه دهره وضعفت عظامه وخارت قواه، أمسى هشيما تذروه الرياح، قد ذوى غصن شبابه، وغزاه المشيب بجيوشه، وصار شيخا يدب على العصا، قد دنا أجله وقرب موعده، وعما قريب سيلحق بالجدود، ويصير طعاما للدود[١٠٧]:

عَضَّ زمانٌ ووهَتْ أَعْظُمٌ
وآذَ زَنْدَىَّ الذى لا يئودْ
صار صبِيُّ المهدِ شيخًا كما
صار هشيمًا بعد ما اخْضرَّ عُود

(١٠٦) من وحي الوافر(قصيدة فتوى لكنها مرفوضة) / ٨١

(١٠٧) من وحي الوافر(قصيدة إن لدينا عملا)/ ٦٩ .

وقال شَعْرٌ شَابَ إنّ المَدى
ضاقَ وإنى لاحقٌ بالجُدودْ
أنا هنا الآنَ ولكنْ غدًا
أُمسى طعامًا دون شَكٍّ لِدُودْ
فلْيخْسأ القيدُ على مِعصمى
زائلةٌ يومًا جميعُ القيود
عَضَّ زمانٌ ودَنا مَغربٌ
ولاحَ لى ماءٌ وعزَّ الورودْ
تُرى إلى أين؟! بريدى
مَضَى فهل تُرى أُمْهَلُ حتى يعودْ
أحاطَ بى سورٌ فلمْ تمتثلْ
لِحُكْمِهِ وَرْقاءُ تهْوَى الصعودْ

وفي هذه الأبيات نلمح مدى المعاناة المادية والمعنوية من خلال تكرار جملة(عَضَّ زمانٌ)، ونلمح الشعور بدنو الأجل من خلال استخدام(صار صبِيُّ المهدِ شيخًا– شَعْرٌ شَابَ– إنّ المَدى ضاقَ– إنى لاحقٌ بالجُدود– غدًا أُمسى طعامًا .. لِدُودْ – دَنا مَغربٌ – بريدى مَضَى)، وفي هذه الأبيات تتوالى الأفعال الماضية (عَضَّ– وهَتْ– آذَ– شَابَ – ضاقَ– دَنا –لاحَ – عزَّ– مَضَى– أحاطَ) بما تحمل من دلالات التحقق والثبوت، فقد وقع ما كان يخشاه.

أما وقد طال عمر الحساني وخارت قواه وحاصرته الهموم والأحداث وصار شبحا، فقد تبدلت نظرته للموت ولم يعد يخشاه، بل أمسى يرحب به، ولم يعد يرهب القبر بل هان عليه، ولم يعد يرغب في شئ إلا أن يذكره الناس بعد موته، فالذكر للإنسان عمر ثان[١٠٨]:

وعندما بانَ جدًّا أنني شَبَحٌ يريدُ
ينقضُّ أوْهَي عَظْمَه الكِبَرُ
تعاورتْهُ خطوبٌ لا علاجَ لها
و طالَ في غيرِ شيءٍ ينفعُ العُمُرُ
وقلتُ: إنّ لقاءَ اللهِ أَرْوَحُ لي
وهانَ لحدٌ مُخِيفٌ بابَهُ حَجَرُ
وقلتُ : مَنْ ذاكِرٌ إيّايَ حينئذٍ
والناسُ ترضيهمُ الذكرى إذا ذُكِرُوا

أما قصيدته (مناجاة للمتنبي) فقد كتبها الحساني بعد فراق صديقيه الحميمين عباس العقاد ومحمود شاكر، كتبها عندما لم يجد أحدا يلجأ إليه ويناديه، ويشكو إليه ويناجيه إلا شاعر العربية الأول أبا الطيب المتنبي، أو (الحالم العظيم) كما أطلق عليه[١٠٩]:

أيُّها الحالمُ العظيمُ تذكَّرْتُكَ
لَمَّا لَمْ أُلْفِ حولىَ خِلَّا
هَبطَ الليلُ أينَ منّي بَوَادٍ
جُزْتَها كالشهابِ يا نجمُ لَيْلَا
ما الّذي كنتَ تبتغي؟ ما
خَبِيئٌ أبَت النائباتُ أنْ يتجلَّى
هَبَطَ الليلُ فادَّكَرْتُكَ أمْسًا
قيلَ: وَلَّى وقلتُ: لمْ يتولّى
أَفَهاذٍ أنا؟! تقولُ قوافيكَ
لمنْ آثروا السلامةَ: كلّا

(١٠٨) من وحي الوافر (قصيدة مناجاة لعبد اللطيف)/ ٩٨
(١٠٩) من وحي الوافر (قصيدة مناجاة للمتنبي) /٩٢ – ٩٣ .

ضلَّ باغي النَّجاةِ بالجبُنْ
ضَلَّ كلُّنا في نهايةِ الشوطِ قَتْلى

بدأت هذه القصيدة بالحديث عن شعوره الأليم بالوحدة والانقطاع وطلب الصديق كما فعل في قصيدة (كن صديقي يا شعر) وبينهما سنوات عديدة، أي أن شعوره بالوحدة والوحشة شعور مقيم، فالوحدة التي يفضلها على جلساء السوء تريحه من ناحية وتؤلمه من ناحية أخرى، لكنه يُسري عن نفسه بذكر المتنبي ويرى نفسه شبيها به أو قريبا منه، لأن ضلوعه أو شعوره أو وعيه الباطن ينبئه بأن الظلام سينداح، ... ، والحساني وهو يتحدث عن الليل الذي هبط يتذكر ليالي المتنبي الطوال ورحيله الدائم يخترق البادية ويجتاز الحدود كالشهاب ويتحدث مثله عن خيله ورجله[١١٠].

إن ما دعا الحساني إلى التمرد النفسي معاناته على الأصعدة الأدبية والسياسية والثقافية والاجتماعية، إضافة إلى شعوره بالوحدة وافتقاد الصديق الصالح – لا سيما بعد موت صديقيه العقاد ومحمود محمد شاكر – أما أبرز مظاهره فالإحساس بالضعف والخور وقلة الحيلة ومحاصرة الهموم، والشعور بدنو الأجل، والرغبة عن مقومات الحياة، ورفض الواقع والحنين للماضي.

تعليق عام:

على الرغم من نبرة الرفض والتمرد والثورة التي تبدو في شعر الحساني على الأوضاع الأدبية والسياسية والثقافية والاجتماعية والنفسية، إلا أنه لم يفقد الأمل في غد أفضل يشهد تعديل الحال وتبديل المآل.

فعلى المستوى الأدبي ينتظر الحساني بزوغ فجر عهد جديد، يشهد ميلاد جيل فريد، يرغب عن الشعر الحر ويؤمن بقيمة الشعر العمودي ومنزلة الشعر الكلاسيكي[١١١]:

أَجِبْهُمْ يا ابْنَ كُلْثومٍ ولكن
ْ تَرَفَّقْ ربما أَصْغى قَبيلُ
فإنْ صَمُّوا فلا تأسفْ عليهم
سَيَنْجُمُ بَعْدَ هذا الجيلِ جيلُ
يَحِنُّ لِخَفْقَةٍ طُرِحتْ ويأْسَى
لقافلةٍ تَخَوَّنَها الدليلُ

وعلى المستوى السياسي يرى الحساني فجرا جديدا يطرق أبواب بغداد يمحو ظلامها ويصفي كدرها وإن تأخر قليلا[١١٢]:

وإنَّ صَبَاحًا جَدِيدًا بأَطْلالِ
بَغْدادَ يا فَأْسَها يُلْمَحُ
بَعيدًا بَعيدًا ولَكِنَّهُ لا
مَحَالةَ يا لَيْلَها مُصْبِحُ
شَكَكْتُ ولَكِنَّني الآنَ رَغْمَ
الضَّبَابِ أَرَى رُؤْيَتِي أَوْضَحُ

(١١٠) أحمد عبد المعطي حجازي : الحساني حسن عبد الله في الثمانين – مقال منشور بجريدة الأهرام بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٨م .

(١١١) من وحي الوافر (قصيدة من وحي الوافر)/ ١١٦.
(١١٢) من وحي الوافر (قصيدة إلى بيل كلينتون..لا سَلَامٌ عَلَيْكَ)/ ٥٢ .

ويوجه حديثه إلى أهل القدس يدعوهم إلى الصبر والتحمل ويبشرهم بغد أفضل، آت لا ريب فيه ما دمنا نستلهم روح جدنا صلاح الدين الأيوبي[١١٣]:

سنَلْتقِي في غَدٍ برغْمِ ما تَشْكِينْ
ما دامَ في رُوحنا يَسْري صلاحُ الدينْ

وإذا كان الغرب سبقنا على المستوى الثقافي فلا يزال في وسعنا تعويض ما فاتنا[١١٤]:

سُبِقْنَا وفي الوُسْعِ– لا تَسْمَعِي
لِأَغْرِبَةٍ نَعَقَتْ غَاقِ غَاقْ–
تَدَارُكُ ما فَاتَنَا واللَّحَاقُ
وجَوْبُ المَجَاهِلِ بَعْدَ اللَّحَاقْ
مَتَى تَلِدُ الأُمَّهَاتُ وَلِيدًا
إلى غَيْرِ ما يَمْلَأُ البَطْنَ تَاقْ

وعلى المستوى الاجتماعي يدعونا إلى التفاؤل وينهانا عن التشاؤم، فأحداث التاريخ تشهد على أن الغلبة لذوي الفضائل، يغيبون – حينا– لكنهم– سريعا– يعودون أقوى مما كانوا[١١٥]:

يُنْبِيكَ ميراثُ قرونٍ خَلَتْ
أَنّا– بحُكْم اللهِ – للغالبِ
ولا تَشَاءَمْ أبدًا بالذى
يَجْرى ولوْ لمْ يَكُ بالصائبِ
وإنْ دنا منكَ غرابٌ فلا
تَسْمَعْ لِغاقِ الأسودِ الناعبِ
وإنْ تَوَلَّى قمرٌ فانتظرْ
يومًا طلوعَ القمرِ الآيبِ

وعلى المستوى النفسي لا يزال – رغم ما مر به من أهوال– متمسكا بالحياة متشبثا بالأمل يستعين بمزيد من بأس، وبقية من قوة، في انتظار أرض جديدة يحيا فيها ويدب عليها[١١٦]:

سَأَحْيَا ستَعْصِمُنِي مِرَّةٌ تَعَافُ التَّشَكِّي وبَأْسٌ صَمُوتْ
سَيَنْفَلِقُ الصَّخْرُ يَوْمًا
لِأَخْطُو على غَيْرِ هَذا التُّرَابِ المَقِيتْ

نتائج البحث:

يجدر بهذا البحث في نهايته أن يرصد النتائج الآتية:

١– تضافرت عدة عوامل كان لها دور في تشكيل ثقافة الحساني أهمها صالون العقاد الأدبي، إضافة إلى دراسته بكلية دار العلوم وتلمذته على يد أعلامها، ثم اطلاعه على ذخائر التراث العربى وأهمها كتاب المنتخب من أدب العرب إلى جانب دواوين الشعر العربي القديم، وأخيرا مطالعة عيون الأدب الانجليزي ساعده على ذلك معرفته الجيدة باللغة الانجليزية.

٢– بدأ الحساني حياته الأدبية شاعرا من شعراء التفعيلة، ثم ما لبث أن رفضه، وتحول عنه، وانقلب عليه، وصار ألد معارضيه .

٣– أبرز عيوب الشعر الحر من وجهة نظر الحساني الركاكة والتشابه والغموض، والكسور العروضية، والملل والرتابة، والخلط

(١١٣) من وحي الوافر(قصيدة قسم للقدس من جيل قادم)/ ٦١ .
(١١٤) من وحي الوافر(قصيدة يا فاطمة اعملي)/ ٨٤ .
(١١٥) من وحي الوافر(قصيدة وجد زمان) / ١٠٥ .
(١١٦) من وحي الوافر(قصيدة فتوى لكنها مرفوضة) /٨٢ .

بين تفعيلات عروضية لا يؤدي الجمع بينها إلا إلى النثر، والخروج على نسق البحر أو الوزن إلى نسق التفعيلة.

٤- إن فكرة التمرد السياسي عند الحساني تمحورت حول شخصية الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، كما تركزت في حدثين كبيرين هما:الغزو الأمريكي للعراق ومعاهدة السلام مع إسرائيل.

٥- رفض الحساني الثقافة الغربية الوافدة وتمرد عليها ووصف أتباعها بالأموات تارة، والأدعياء أخرى وأهل البغي والضلال ثالثة، ونبه على أن ما يُصدر إلينا من ثقافات ومعارف وفكر غربية – بداعي إيقاظنا وتنويرنا– لا تخلو من معاول هدم لأمتنا وثقافتنا العربية الأصيلة.

٦- لم ينسجم الحساني مع مجتمع القاهرة الصاخب ورفض ما شاع فيه من بلادة وغي وضلال وتشدد وتشبث بالرأي وغياب للوعي وإسفاف وعري، ودعا إلى العفاف وصيانة الأعراض والعزوف عن المغاني والمراقص

٧- ظهر التمرد النفسي في شعر الحساني كنتيجة طبيعية لمعاناته على الأصعدة الأدبية والسياسية والثقافية والاجتماعية، إضافة إلى شعوره بالوحدة وافتقاد الصديق الصالح – لا سيما بعد موت صديقيه العقاد ومحمود محمد شاكر– أما أبرز مظاهره فالإحساس بالضعف والخور وقلة الحيلة ومحاصرة الهموم والشعور بدنو الأجل والرغبة عن مقومات الحياة ورفض الواقع والحنين للماضي .

٨- على الرغم من نبرة الرفض والتمرد والثورة التي تبدو في شعر الحساني على الأوضاع الأدبية والسياسية والثقافية والاجتماعية والنفسية، إلا أنه لم يفقد الأمل في غد أفضل يشهد تعديل الحال وتبديل المآل.

٩- شاع في أبيات الحساني العديد من الظواهر الأسلوبية منها: إسناد المفردات إلى ضمير المتكلم، وتوالي الأفعال الماضية، وأفعل التفضيل، واستخدام أساليب الاستفهام وبخاصة الاستفهام المنفي، واقتباس الألفاظ والمعاني من عيون الشعر العربي لا سيما من زهير بن أبي سلمى وأبي تمام والمتنبي وعباس العقاد .

مراجع البحث :

١- أحمد عبد المعطي حجازي : الحساني حسن عبد الله في الثمانين – مقال منشور بجريدة الأهرام بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٨م.

٢- أشرف البولاقي: الحساني حسن عبد الله بين الحضور والغياب– مقال منشور بجريدة أخبار الأدب– ٢٤ / ٩ / ٢٠١٧م.

٣- لبيركامو: الإنسان المتمرد– تر: نهاد رضا– مطبعة الكرم لبنان– الأولى ١٩٦٣.

٤- ايندهمو: أسس العروض الإنجليزي – تر الحساني حسن عبد الله – مجلة المجلة – ع ١١٣ – س ١٩٦٦ .

٥- بدوي طبانة: كوكبة من شعراء العصر– مكتبة لبنان بيروت– ١٩٩٥م .

٦- أبـــو تمـــام: ديـــوان- شـــرح الخطيـــب التبريـــزي- تـــح راجـــي الأســـمر دار الكتـــــاب العربـــــي بيـــــروت
جـــابر عصـــفور: هـــوامش للكتابـــة ... ذكريـــات يحيـــى الطـــاهر عبـــد الله- مقـــال بالموقع الألكتروني لجريدة الحياة – بتاريخ ٢ / ١١ / ٢٠٠٥م .
٧- الحســاني حســن عبــد الله : ديــوان (عفــت ســكون النــار)- مطبعــة المــدني- مصــر ١٩٧٢م .
٨- _____: ديـوان (مـن وحـي الـوافر وقصـائد أخرى) سلسلة إبداعات عربية – دائرة الثقافة بالشارقة- د.ت .
٩- _____: ساعات فـي حضـرة الفكـر- مجلة الهلال – مارس ٢٠١٤م .
١٠- _____: أحمـــد حجـــازي وعمـــود الشـــعر- مدونـــة الحســـاني- منشـــور بتاريخ٢٠١٧/٧/٦م.
١١- _____: بعـض الخفـي مـن سـيرة العقـــاد- الصـــفحة الرســـمية للحســـاني علـــى الفيســـبوك- نشـــر بتـــاريخ ٢٤ / ١٠ / ٢٠١٧م .
١٢- حسن الشافعي: مجلة مجمعيات- نشرة غير دورية تصدرعن مجمع اللغة العربية بالقاهرة- ع ٣٣ .
١٣- عبـــد الرضـــا عطاشـــي: رثـــاء الأب فـــي الشـــعر المعاصـــر- مجلـــة الكلية الإسلامية – النجف الأشرف- إيران – مج ١ – ع ٤٠ .
١٤- عبد المنعم عبد العظيم : الشاعر الكبير الحســـاني حســـن عبـــد الله ... هـــل عاف سكون السجن – مقال منشور بالموقع الألكتروني لجريدة (الأقباط متحدون) – السنة الخامسة – العدد ٢٠٩٨ – بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠م .
١٥- _____: عـودة الفـارس القـديم ... شـــاعر مصـــر الكبيـــر الحســـانى حســـن عبـدالله يواصـل معركتـه ضـد الحداثـة- مقـال منشـور بـالموقع الألكترونـي لجريـدة (الأقبـــاط متحـــدون)- نشـــر بتـــاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٣م .
١٦- فاروق شوشة: عموديون يسبحون ضد التيار...الحساني حسن عبدالله – مقال نشر بجريدة الأهرام في٢٣ / ٥ / ٢٠٠٤ م.
١٧- فـاروق القاضـي : آفـاق التمـرد .. قـراءة نقديـــة فـــي التـــاريخ الأوربـــي والعربـــي المعاصـــر- المؤسســـة العربيـــة للدراســـات والنشر بيروت- الأولى ٢٠٠٤م .
١٨- المتنبـــي: ديـــوان- شـــرح أبـــي البقـــاء العكبـري- تـح مصـطفى السـقا ، إبـراهيم الإبياري- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- ١٩٥٦م .